الفكر السياسي عند المسلمين حتي القرن التاسع الهجري

أ .د . محمد محمد عثمان يوسف

أستاذ الدراسات الإسلامية المتفرغ كلية الآداب جامعة سوهاج

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسله بالبينات، وختمهم بمحمد (ﷺ)، حيث أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره علي الدين كله.

الحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة ، وأصلي وأسلم علي سيدنا محمد وعلي آل بيته الأطهار وصحبه الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن رسالة الإسلام رسالة عامة لكل زمان ومكان، وهي رسالة للثقلين الإنس والجان، فللإسلام خاصية الشمول والإحاطة والدوام والاستمرار، فمحمد (ﷺ) هو خاتم الأنبياء فليس هناك نبي يأتي بعده، والقرآن الكريم خاتم الكتب السماوية فليس هناك كتاب ينزل بعده؛ لهذا كان القرآن الكريم دستورا لأمة هي: (خير أمة أخرجت للناس)، ولقد منّ الله علي الإنسانية إذ بعث فيهم وإليهم هذا النبي العظيم محمد (ﷺ) وأنزل عليه القرآن فيه نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم مابيننا، القرآن الكريم كتاب الكون كله، كتاب تهذيب وتربية، كتاب تشريع للأحكام ودستور لأمة ، كتاب يحمي المجتمع من الفوضي والاضطراب كما يحمي الفرد م ن الضياع والهلاك، كتاب بين الله لنا فيه الحلال والحرام وذكر لنا أخبار السابقين، وضرب لنا المثل لنهتدي بما فيه، كما بين لنا في هذا القرآن أصول الحكم والدولة ، ولكي نفهم حقيقة نظام الحكم الإسلامي أو الدولة الإسلامي ة يجب معرفة ودراسة النظريات والآراء التي دونت حول هذا النظام والدولة الإسلامية، وهي التي قامت علي أسس ومباديء وضعها الإسلام وهي أسس متينة ومباديء سامية، ومن هنا فقد انبرى الساسة والمفكرون منذ عصر الخلافة الراشدة والعصور الإسلامية المتعاقبة بتصنيف الكتب التي عالجت الفكر السياسي الإسلامي وسن قتصر علي المؤلفات الأصيلة في بابها كالفقه السيا سي الإسلامي البعيد عن التأثر بالفلسفة السياسية اليونانية أو التبعية الفارسية، وبذلك ندحض الفرية التي أشاعها المستشرقون والمتأثرون بهم إذ ظنوا أن علماء الإسلام كانوا مجرد نقلة لمؤلفات الفرس واليونان.[1]

ولهذا خصصنا هذه الدراسة والتي بعنوان: (الفكر السياسي عند المسلمين حتي القرن التاسع الهجري) والذي خططنا له الآتي:

- المقدمة.
- التمهيد: ويدور حول التعريف بهذا المفهوم (الفكر السياسي عند المسلمين).
- الفصل الأول: من مصادر الفكر السياسي عند المسلمين حتي القرن التاسع الهجري.
- الفصل الثاني: سمات الفكر السياسي عند المسلمين.
- الفصل الثالث: ملامح الفكر السياسي عند المسلمين: ويشتمل علي ثلاثة مباحث:

  المبحث الأول: ملامح الفكر السياسي في عهد النبوة.

  المبحث الثاني: في عهد الخلفاء الراشدين.

  المبحث الثالث: في العهود المتعاقبة.

1) مقدمة كتاب غياث الأمم للجويني ص7.

- الفصل الرابع: قواعد الفكر السياسي عند المسلمين.
- مدخل لدراسة القواعد الفقهية.
- القواعد الفقهية.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة والفهارس.

التمهيد:

تعريف الفكر السياسي:

أولا: تعريف الفكر:

أ - الفكر لغة:

جاء في تاج العروس : ف ك ر : الفكر بالكسر وبفتح : إعمال النظر، إعمال الخاطر في الشيء، كالفكرة، والفكري، بكسرهما، وقد فكر فيه، وأفكر، وفكر تفكيرا وتفكر، وفي استعمال العامة افتكر، والمعني: تأمل[1].

كما جاء في المحيط: الفكر والتفكر واحد. ورجل فكير: كثير الإقبال علي الفكرة، والفكري: الفكرة كالذكري والذكوة والفكر: الحاجة، لافكر لي فيه.[2]

كما جاء في المعجم الوسيط: فكر في الأمر فكرا أعمل العقل فيه ور تب بعض مايعلم ليصل به إلي مجهول ، (أفكر) في الأمر فكر فيه فهو مفكر ، (التفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصل لحلها (الفكر) إعمال العقل في المعلوم للوصول إلي معرفة المجهول ،[3] كما جاء في تهذيب اللغة للأزهري: التفكر: اسم للتفكير، ويقولون: فكر في أمره، وتفكر، ورجل فكير : كثير الإقبال علي التفكر والفكرة، وكل ذلك معناه واحد. [4]

وجاء في لسا ن العرب: الفكر والفكر إعمال الخاطر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعني ورجل فكير مثال فسيق وفيكر كثير الفكر. [5]

وخلاصة المعني اللغوي للفكر إعمال العقل وتردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني.

ب - تعريف الفكر اصطلاحا:

جاء في المصباح المنير : الفكر بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني ، ولي في الأمر (فكر) أي نظر وروية .... والفكرة اسم من الافتكار مثل العبرة والرحلة من الاعتبار والإرتحال وجمعها فكر مثل سدرة وسدر ويقال (الفكر) ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلي مطلوب يكون علما أو ظنا.

ويعني هذا كل ماألفه علماء المسلمين في شتي العلوم الشرعية وغير الشرعية، بغض النظر عن الحكم علي مدي ارتباط هذا النتاج الفكري بأصل العقيدة الإسلامية ، وقيل الفكر الإسلامي يعني: المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا به.

ثانيا: مفهوم السياسة في الإسلام:

أ- السياسة لغة:

---

1) **تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي - 345/13.**
2) **المحيط في اللغة - الصاحب بن عباد - 47/2.**
3) **المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفي وآخرين - 698/2.**
4) **تهذيب اللغة – الأزهري - 145/3.**
5) **لسان العرب - ابن منظور - مادة فكر - 65/5.**

جاء في لسان العرب: يقال سوسه القوم جعلوه يسوسهم،

ويقال: سوس فلان أمر بني فلان أي : كلف سياستهم....... السياسة: القيام علي الشيء بما يصلحه، السياسة فعل السا ئس يقال : هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها والوالي يسوس رعيته. [1]

وقالوا؛ السياسة مشتقة من مادة (سوس)، والسوس يقال: ساس الناس سياسة: تولي رياستهم وقيادتهم، وساس الدواب: راضها وأدبها، وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها.

ب- معني السياسة اصطلاحا:

جاء في موسوعة السياسة تعريفات متعددة منها:

السياسة هي : أساليب الحكم والإدراة في المجتمع المدني . أو هي : فن إدارة المجتمعات الإنسانية. أو هي: أفعال البشر التي تتصل بنشوء الصراع أو حسمه حول الصالح العام والذي يتضمن دائما استخدام القوة أو النضال في سبيلها.[2]

وعلي هذا المفهوم يكون معني الفكر السياسي عند المسلمين هو كل ما ألفه علماء الإسلام حول أساليب الحكم وإدارة المجتمعات الإنسانية، وهذا مافعله المسلمون فقد فكروا فعلا في السياية وكونوا لهم نظريات عنها؛ لأن الفكر صفة ينفرد بها الإنسان دون سواه من بين سائر المخلوقات، وهو ثمرة من ثمار العقل البشري ينشأ ويتراكم علي مر العصور نتيجة للجهد الذهني الذي يبذله الإنسان في سعيه لمعرفة الظواهر المتعددة ، لأن الفكر بصفة عامة يعني الآراء والمباديء والنظريات التي يطلقها ، ويعتمدها العقل الإنساني في تحديده لمواقف معينة إزاء الكون والإنسا ن والحياة.[3]

ولما كان الفكر السياسي بصفة خاصة ي فوق كل ضروب الفكر البشري الأخري، وذلك لاعتبارات كثيرة ، في مقدمتها عراقة هذا الضرب من الفكر فحيث تعدد الناس في مجتمع يبدأ التفكير في حاجة المجتمع فيمن يتولي أمره ، ومايمكن عمله لقضاء حاجات المجتمع ، فالسياسة هي فن الممكن، وليست من أجل السلطة والهيمنة.

ونظرا لكون الأمة العربية كانت قبل ال بعثة وصدر الإسلام شفوية الثقافة ، فقد ظل التفكير السياسي لديها شفويا تتداوله الألسن شعرا وحكما وأخبارا ، ولم تكن الحاجة ماسة إلي تدوينه في فجر الإسلام مثلما كانت بالنسبة للعلوم الم تصلة اتصالا واضحا مباشرا بالعقيدة والعبادة ، لذلك تأخر التدوين السياسي إلي أوائل القرن الهجري الثاني.

وقيل: إن الفكر السياسي الإسلامي هو ذلك النشاط العقلي الذى يضم الآراء والمباديء والأفكار لمجموعة بشرية معينة هم المسلمون منذ إن نشأ لهم مجتمع سياسي وتكونت للإسلام دولة منذ عهد النبي (ﷺ) حتي عصرنا الحالي بما يعني أن هذا الفكر له مراحله وله تاريخ يشمل هذه المراحل ويضم الكتابات حول الأفكار والمباديء والنظريات التي تخص حياة وأهداف المسلمين السياسية والقواعد التي تحكم وتنظم مايطلق عليه سياسي ويخص المسلمين كأمة ومج تمع سياسي له حقل معرفي ينطوي علي دلالات معرفية هي خلاصة مفهوم مركب من ثلاثة مفاهيم فرعية : الموصوف وهو الفكر والصفتان له : السياسي والإسلامي وكل مفهوم منها تختلف تعريفاته بقدر ماتتشابه وتتنافر بقدر ماتتجاذب علي ماسوف تبينه الدراسة في الفصول القادمة.

الفصل الأول: مصادر الفكر السياسي عند المسلمين حتى القرن التاسع الهجري

---

1) **المعجم الوسيط: مادة ساس462 وتاج العروس للزبيدي157/6.**
2) **موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي وآخرون563/6.**
3) **فكر سياسي من ويكيبديا الموسوعة الحرة**

لقد خلف لنا علماء الإ سلام تراث ضخم من مصادر الفكر السياسي يمكننا أن نقسمها إلى أقسام ثلاثة:

- **القسم الأول:** ويمثل أصالة الفقه السياسي الإسلامي وَبُعْدُهُ عن التبعية الفارسية أو التأثر بالفلسفة السياسية اليونانية، فقد رسم الإسلام بمصدريه الكتاب والسنة للسياسة خطة واسعة، وسن نظ ما عامة، فصرف علماء المسلمين أنظارهم في دراسة خطته والتفقه في نظمه، حيث كانت مناهجهم في البحث موصولة بها وقائمة على أسسها "ومن المؤلفات على هذا النمط كتاب غ يلث الأمم لإمام الحرمين، والأحكام السلطانية للماوردي، والأحكام السلطانية للقا ضي أبى يعلى، وكتاب السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم"[1] على ما سوف نفصله بمشيئة الله عند عرض هذه المصادر، هذا إلى جانب الكتب الآتية:

تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام للإمام ابن جمالة، وكتاب : إعانة الإنسان على أحكام السلطان لنفس المؤلف وكتاب : تحرير السلوك في تدبير الملوك لأبى الفضل محمد الأعرج وكتاب: المنهاج للحليمى ت 403هـ، وكتاب : الدرة الضراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء لمحمود بن إسماعيل ألف 843هـ.[2]

- **القسم الثاني:** كتب وضعها رجال الإدارة وأصحاب كتب المواعظ والتوجيهات للحكام والولاة، والإنصاف يقتضينا القول إن الصبغة العامة لهذه الكتب بعضها أو كلها – كان بمثابة "مرايا الحكام أو الأمراء"، ومن أمثلتها كتاب "الأدب الكبير" لابن المقفع وكتاب "التاج" للجاحظ وكتاب الطرطوشى "سراج الملوك"، وكتاب "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" الذي ألفه عبد الرحمن بن عبد الله للملك الناصر صلاح الدين يوسف، وكتاب "الجوهر النفيس في سياسة الرئيس" تأليف ابن الحداد ت سنة 649ه.[3]

- **القسم الثالث:** كتب الفلاسفة التقليدية أمثال الكندي والفارابي وابن سينا، وهؤلاء كانوا مجرد نقله للفلسفة اليونانية، فاحتذوا أفكارها الميتافيزيقية والفيزيقية والأخلاقية والسياسية حذو القذة بالقذة، إلا المواضع التي حاولوا فيها التوفيق بين الإسلام وبين هذه الفلسفة وكان يصيبهم الإخفاق كما لفظتهم دوائر أهل السنة والجماعة.[4]

ومن هذا المنطلق نشأت في صدر الدولة العباسية فكرة الحكم المطلق لدى فلاسفة المسلمين كافة، ولئن كان الحكم الفردي المطلق قائماً قبل ذلك منذ سقوط الخلافة الراشدة فانهم قد سبقوا إلى تبريده فكرياً وفلسفياً والتشريع له عقدياً ودينياً، وكانوا يستطيعون أن يلتزموا الموضوعية والتوازن فلا يكتفوا بعرض أراء مدرسة الاستبداد الأفلاطوني، بل يعرضون بجانبها أراء المدرستين الأرسطية الدستورية والرومانية القانونية، ولو فعلوا لكسروا على الأقل الحلقة المفرغة التي ما حدث المسلمين بين نظامين استبدادين، ولأقتربوا بذلك شيئاً من المفهوم الإسلامي للحكم الذي يرى أن المجتمع مجموعة أفراد أحرار متساوين في الحقوق والواجبات، تحكمهم شريعة واضحة في الكتاب والسنة، بمنهج شورى عام شامل، يتيح لهم التسلط على أمرهم، قراراً وتنفيذاً ومراقبة ومحاسبة.

على أن التصور السياسي العقدي للرعيل الأول من فلاسفة المسلمين عامة يمكن أن نوجزه في سبعة أسس قام عليها هي:

---

1) نقصد كتاب الإسلام وأصول الحكم لمحمد خضر حسين – ص44.

2) فهرست دار الكتب المصرية 310/1.

3) مخطط مصور بمعهد المخطوطات العربية فهرس قسم السياسة والاجتماع ميكرو فيلم 18.

4) مقدمة المحقق لكتاب غياث الأمم – ص8.

1. استنادهم إلى نظرية الفيض وهو كفر صريح.
2. الفلك الأقصى حي عاقل مميز، يسير الموجودات كلها ويحركها نيابة عن الله، وهذا تصور لا علاقة له بالإسلام.
3. الحاكم والفيلسوف والملك والنبي والإمام والرئيس الأول ألفاظ مترادفة، تعنى الاتصال المباشر بواجب الوجود والعصمة التامة، والقدرة المطلقة على إصلاح الخلائق الذين هم مجرد أدوات لأفعاله. وهذا التصور أيضاً بعيد كل البعد عن العقيدة الإسلامية.
4. الحاكم والفيلسوف والملك والنبي والامام، يستمد النور من العقل الفعال الذي يستمد بدوره النور من الموجود الأول ولذلك لا يصدر من إلا الحسن.
5. الحاكم أو الفيلسوف أو الملك أو النبي أو الامام، لا يلتزم بالفضائل لأنها أوامر إلهية نزل بها الوحي قرءانا وسنة، ولكن لأنه مجبول على ذلك بالفطرة بسبب اتصاله بمصدر النور فهو المعصوم ومرتبته فوق الخاصة والعامة.
6. السعادة القصوى في الدنيا هي بلوغ كل فرد قمة كماله المؤهل له بالفطرة، إن ملكاً أو خاصة أو عامة. أما الحياة الاخروية فقد جحدوها . إذ أنكروا المعاد الجسماني والبعث، وأولوا ما ورد في الشرع من نصوص حول اليوم الآخر والبعث والنشور والعرض والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار، بأنه مجرد تمثيل بالمحسوسات لتقريب المعاني إلى أذهان العامة، وأن التسليم بالمعاد الجسماني وحياة الآخرة مجرد وسيلة للمحافظة على الأخلاق.
7. البشر ثلاث طبقات، الأرفعون والخاصة والأوضعون، ولكل طبقة سماتها وفطرتها ودورها، وهم تبعا لذلك ثلاثة أصناف، حكام وأدوات حكم ومحكومين، وجذور هذه العقيدة تجد ترتيبها لدى البراهمة.

هذه زبدة التصور السياسي الفلسفي، وهو كما يتضح بجلاء يتعارض تعارضاً مطلقاً مع التصور الإسلامي. عقيدة وسلوكاً ونظام حكم واجتماع.[1]

ولهذا استبعدنا من بحثنا هذا جميع مؤلفات الفكر السياسي الفلسفي لفلاسفة الإسلام، واقتصرنا على الأبحاث السياسية لعلماء المسلمين التي وردت ضمن كتاباتهم الجامعة في الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام.

فعلماء علم الكلام نجدهم يتحدثون في العقيدة عن الله (سبحانه وتعالى) وأسمائه وصفاته ويتحدثون عن الخلافة والرياسة وقواعد الحكم، ونجد علماء الأصول في أثناء تناولهم لمصادر الشريعة وأصول الحكم، يتناولون أيضاً الخلافة وهل هي من الأصول أو الفروع، ونجد الفقهاء مع حديثهم عن الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج أو البيوع والرهن والايجاره يتناولون أيضاً الحكم والقضاء والأمراء والولايات والسياسة الشرعية ومقتضياتها، وسائل الجهاد والسلم والحرب.[2]

من هذا المنطلق سيكون عرضنا لمصادر الفكر السياسي عند المسلمين حتى القرن التاسع الهجري وسنقتصر على نماذج من هذه المصادر حتى لا ندعى لأنفسنا حصر جميع المصادر؛ بل سوف نعوض أكثر المصادر أهمية في هذا الباب.

كتاب الخراج

1) التصنيف السياسي الفلسفي لدى المسلمين من كتاب "فقه الأحكام السلطانية – محاولة نقدية للتأصيل والتطوير - عبد الكريم مطيع الحمداوي – ص63.
2) الفقه السياسي عند المسلمين – لمحمود فياض – ص120.

لأبي يوسف [1] (ت 182ه.)

أكد أبو يوسف في كتابه "الخراج" على مجموعة من الإرشادات العامة التي تحدد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، دون الخوض في لجة الاجتهاد المطلق في هذا الجانب، فهو يؤكد على ضرورة طاعة الأمام، لقد ألف أبو يوسف كتابه الخراج للخليفة هارون الرشيد فقال بناء على طلب من الخليفة: ("هذا ما كتببه أبويوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد" أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام له العز في تمام من النعمة، ودوام من الكرامة، وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذي لاينفد ولايزول، ومرافقة النبي (ﷺ). إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضعله كتابا جامعا يعم لبه في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالي، وغيرذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وطلب أن أبين لهما سألني عن هم ما يريد العمل به، وأفسر ه وأشرح هو قد فسر تذلك وشرحته).[2]

وسوف نبدأ بالمصادر الفقهية لأهميتها ولأصالتها وسوف نأخذ نماذج منها: 1. كتاب الخراج لأبى يوسف: ولعل كتاب الخراج لأبى يوسف ت 182هـ، حيث أكثر أبو يوسف في مقدمة كتابه "الخراج" على مجموعة من الارشادات العامة التي تحدد طبيعة العلا قة بين الحاكم والمحكوم، دون الخوض في لجة الاجتهاد المطلق في هذا الجانب، فهو يؤكد على ضرورة طاعة الأمام.

لقد ألف أبو يوسف كتابه الخراج للخليفة هارون الرشيد فقال بناء على طلب من الخليفة:("هذا ما كتببه أبويوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد" أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام له العز في تمام من النعمة، ودوام من الكرامة، وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذي لاينفد ولايزول، ومرافقة النبي (ﷺ). إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضعله كتابا جامعا يعم لبه في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالي، وغيرذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وطلب أن أبين لهما سألني عن هم ما يريد العمل به، وأفسر هوأشرح هو قد فسر تذلك وشرحته).[3]

سلوك المالك في تدبير الممالك

لابن الربيع[4] (ت 272هـ)

السبب في تأليف الكتاب :يقول ابن الربيع أن السبب في تأليف كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك":(أن الله (ﷻ) لما خص الملوك بكرامته ومكن لهم في بلاده وخولهم عباده اوجب علي علمائهم تبجيلهم وتعظيمهم وتوقيرهم كما اوجب عليهم طاعتهم، ومنها إنما اضطر العالم إلي سائس ومدبر ليدفع الاذي الواقع علي بعضهم من بعض،حتي يقصد كل واحد منهم للصناعة التي

---

1) أبو يوسف هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي "أبو يوسف" صاحب الإمام الأعظم "أبي حنيفة النعمان" صاحب المذهب المتبوع "المذهب الحنفي". وأبو يوسف كما هو صاحب أبي حنيفة يعتبر من تلاميذه المخلصين وممن نشر مذهبه، أما الصاحبان الآخران فهما مح مد بن الحسن الشيباني وزفر بن الهذيل، كان أبو يوسف فقيها علامة ومن حفاظ الحديث وتفقه به وبالرواية، ثم لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأي والقول به، وولي القضاء ببغداد في أزهى عصورها أيام المهدي والهادي والخليفة العظيم هارون الرشيد والذي مات في خلافته ببغداد وهو على القضاء، وهو أول من دعي "قاضي القضاة"؛ بل قيل عنه "قاضي قضاة الدنيا"، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.(أنظر: الخراج – لأبى يوسف- ص5).

2) الخراج – أبو يوسف – ص 13.

3) الخرج - أبو يوسف – ص13.

4) ابن الربيع هو: أحمد بن محمد بن أبي الربيع، شهاب الدين: أديب، كان من رجال المعتصم العباسيّ. له تصانيف منها سلوك المالك في تدبير الممالك (218 - 272 هـ = 833 - 885 م) - (انظر:الأعلام - الزركلي - 205/1)

لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج إليها ولا يعوقه عنها عائق، فيتم بذلك تعاضدهم وتعاونهم علي مصالح عيشتهم واستقامة أمورهم).[1]

وقد اهدي ابن الربيع كتابه هذا إلي الخليفة المعتصم بالله فقال:

(ومن سعادة أهل الزمان أن إمامهم ومتقلد سياست هم، ودبر ملكهم من هو مجمع المحاسن المذكورة، ومعدن الفضائل المشهورة، ومن جمع هذه المحامد المشكورة من جاد الزمان ببقائه علي الدين وذويه، ومن الدهر بوجوده علي الإسلام وبنيه، وهو سيدنا ومولانا ومالكنا، خليفة الله في العباد، والسالك في سبيل الرشاد المعتصم بالله أمير المؤمنين).[2]

التاج في أخلاق الملوك

للجاحظ[3] (ت255هـ):

هذا الكتاب أهداه الجاحظ إلي الفتح بن خالقان الذي اتخذه الخليفة العباسي المتوكل أخا له، فيقول الجاحظ في مقدمة كتابه التاج : (إنه يخص بوضع كتابه هذا الأم ير الفتح بن خاقان ـ وزير المتوكل ـ مولي أمير المؤمنين : إذ كان با لحكمة مشغوفا، وعلي طلبها مباشرا ، وفي أهلها راغبا ،ليبقي له ذكره،ويحيي به اسمه ما بقي الضياء والظلام).[4]

وسبب تأليف الجاحظ لهذا الكتاب: (هو تبيان كيف يتعامل الناس مع ملوكهم، وكيف يتعامل الملوك مع رعيتهم، ومن ثم دار هذا الكتاب في مختلف فصوله حول هذه القضية بغية إصلاح العلاقة السياسية بين الحاكم والمحكوم، والتي تمثل جوهر علم السياسة في أي زمان ومكان علي أساس أخلاقي، لذلك تراه يركز علي أن أهداف الحكم هو إصلاح أحوال الرعية وان اخطر مشاكله تسرب شهوة التسلط إلي الملوك).[5]

أما عن محتوي لكتاب التاج في أخلاق الملوك:

- **باب في الدخول على الملوك.**
- **باب في مطاعمة الملوك.**
- **باب في المنادمة.**

السلطان

لابن قتيبة[6] (ت276هـ)

أهمية الكتاب: يذكر ابن قتيبة في كتابه السلطان أهمية كتابه هذا وان كان ما ورد فيه لم يرد في قران ولا سنة فيقول: (إن هذا الكتاب وان لم يكن في القران والسنة وشرائع الدين، وعلم الحلال والحرام،

---

1) سلوك المالك في تدبير الممالك ـ ابن الربيع ـ ص15.
2) سلوك المالك في تدبير الممالك – ابن الربيع ـ ص5.
3) الجاحظ هو : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، البصري العالم المشهور؛ صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة كان من فضائله مشوه الخلق، و إنما قيل له " الجاحظ " لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ: النتو، وكان يقال له أيضاً " الحدقي " لذلك، وكانت وفاة الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة، وقد نيفعلي على تسعين سنة، رحمه الله تعالى . (انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان ـ 474/3)
4) التاج في اخلاق الملوك ـ الجاحظ ـ ص5
5) المصدر السابق ـ ص7
6) ابن قتيبة هو : (هو أبو محمد بن عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبية الدينورى، ولد في بغداد وسكن الكوفه ثم ولى القضاه لدينور فترة فنسب اليها، ولد سنة 213ه، وتوفى سنة 276ه) (أنظر وفيات الاعيان – ابن خلكان – 42/3).

دال علي معالي الأمور، مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناه عن القبيح، باعث علي صواب التدبير، وحسن التقدير، ورفق السياسة، وعمارة الأرض).[1]

نصيحة الملوك

للماوردي[2] (ت450هـ)

ألف الإمام الماوردي رحمه الله كتابه "نصيحة الملوك" وذلك بعرض النصح والإرشاد للملوك، لان الإمام الماوردي يعلم أن نصيحة الملوك واجب ديني به صلاح الدنيا والدين، ويقول في سبب تأليفه لكتاب نصيحة الملوك.

(أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتابا دينيا، نريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم ونظام ممالكهم وأحوالهم بكتاب الله رب العالمين، ونحذرهم من سوء المصرع ولؤم الميتة وقبح الأحدوثة واستحقاق العقوبة عاجلا وآجلا).[3]

ويقول أيضا ما جعله يألف كتابه نصيحة الملوك في مقدمته للكتاب:

(إن ما حملنا علي تأليف هذا الكتاب بعدما علمنا من حث الله (ﷻ) العقلاء من عباده علي طلب الأجر، وركب في طبائع الفضلاء من المحبة لبقاء الذكر ثم ما روينا عن نبينا انه قال (ﷺ) (من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)، فالملوك أولي الناس أن تهدي إليهم النصائح، وأحقهم بان يخولوا بالمواعظ إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية، وفي فسادهم فساد البرية فكتبنا كتابنا هذا نصيحة للملوك، وإظهار لمحبتهم، وإشفاقا لهم علي أنفسهم ورعاياهم).[4]

الأحكام السلطانية

للماوردي[5] (364هـ.450هـ)

ذكر الإمام الماوردي سبب تأليفه لكتابه الأحكام السلطانية فقال: (لما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم من تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير أفردت له كتابا امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته).[6]

(ولقد ألف الإمام الماوردي كتابه الأحكام السلطانية بأمر من خليفة العصر، فالكتاب بذلك ليس كتاب فقه نظري بل هو موجه للسلطة الحاكمة للعمل به وتنفيذه).[7]

ولقد تضمن هذا الكتاب من الأحكام السلطانية والولايات الدينية عشرون بابا:

- **فالباب الأول: في عقد الإمامة.**

---

1) السلطان (عيون الاخبار) ـ ابن قتيبة ـ ص10

2) الماوردي هو: عليّ بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن البصْريّ الماوَرْديّ الفقيه الشّافعيّ المتوفى : 450 هـ صاحب التّصانيف، روى عن الحسن بن علي الجبليّ صاحب أبي خليفة الجُمحيّ، وع ن محمد بن عَدِيّ المِنْقَريّ، ومحمد بن المعلَّى، وجعفر بن محمد بن الفضل. روى عنه أبو بكر الخطيب ووثّقه، وقال: مات في ربيع الأوّل وقد بلغ سِتًّا وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان كثيرة. ثمّ سكن بغداد، وقيل أنّه لم يُظْهِر شيئًا من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلمَّا دَنَت وفاتُهُ قال لمن يثق به: الكُتُب الّتي في المكان الفُلانيّ كلها تَصْنِيفي، وإنَّما لم أُظْهِرها لأنّي لَمْ أَجِدْ نِيَّةً خالِصَة، فإذا عايَنْتُ الموت ووقعْتُ في النَّزع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضتُ عليها وعصرتُها، فاعلم أنَّهُ لم يُقْبَلٍ منِّي شيءٌ منها، فاعمد إلى الكُتُب والْقها في دِجْلَة، وإن بسطت يدي ولم أقبضْ على يدك، فاعلم أنها قد قُبِلت، وأنِّي قد ظفرْتُ بما كنتُ أرجوه من النية. (انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ الذهبي ـ715/9، سير أعلام النبلاء ـالذهبي ـ65/18)

3) نصيحة الملوك ـ الماوردي ـ ص9.

4) نصيحة الملوك ـ الماوردي ـ ص34

5) سبق ترجمته.

6) الأحكام السلطانية ـ الماوردي ـ المقدمة.

7) موسوعة البحوث والمقالات العلمية ـ علي بن نايف الشحود ـ ص9

- والباب الثاني: في تقليد الوزارة.
- والباب الثالث: في تقليد الإمارة على البلاد.
- والباب الرابع: في تقليد الإمارة على الجهاد.
- والباب الخامس: في الولاية على المصالح.
- والباب السادس: في ولاية القضاء.
- والباب السابع: في ولاية المظالم.
- والباب الثامن: في ولاية النقابة على ذوي الأنساب.
- والباب التاسع: في الولاية على إمامة الصلوات.
- والباب العاشر: في الولاية على الحج.
- والباب الحادي عشر: في ولاية الصدقات.
- والباب الثاني عشر: في قسم الفيء والغنيمة.
- والباب الثالث عشر: في وضع الجزية والخراج.
- والباب الرابع عشر: فيما تختلف أحكامه من البلاد.
- والباب الخامس عشر: في إحياء الموات واستخراج المياه.
- والباب السادس عشر: في الحمى والأرفاق.
- والباب السابع عشر: في أحكام الإقطاع.
- والباب الثامن عشر: في وضع الديوان وذكر أحكامه.
- والباب التاسع عشر: في أحكام الجرائم.
- والباب العشرون: في أحكام الحسبة.

سلوك المالك في تدبير الممالك

لابن الربيع[1] (ت272هـ)

السبب في تأليف الكتاب:

يقول ابن الربيع أن السبب في تأليف كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك ":(أن الله (ﷻ) لما خص الملوك بكرامته ومكن لهم في بلاده وخولهم عباده اوجب علي علمائهم تبجيلهم وتعظيمهم وتوقيرهم كما اوجب عليهم طاعتهم، ومنها إنما اضطر العالم إلي سائس ومدبر ليدفع الاذي الواقع علي بعضهم من بعض،حتي يقصد كل واحد من هم للصناعة التي لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج إليها ولا يعوقه عنها عائق،فيتم بذلك تعاضدهم وتعاونهم علي مصالح عيشتهم واستقامة أمورهم).[2]

وقد اهدي ابن الربيع كتابه هذا إلي الخليفة المعتصم بالله فقال:

(ومن سعادة أهل الزمان أن إمامهم ومتقلد سياستهم، ودبر ملكهم من هو مجمع المحاسن المذكورة، ومعدن الفضائل المشهورة، ومن جمع هذه المحامد المشكورة من جاد الزمان ببقائه علي الدين وذويه، ومن الدهر بوجوده علي الإسلام وبنيه، وهو سيدنا ومولانا ومالكنا، خليفة الله في العباد، والسالك في سبيل الرشاد المعتصم بالله أمير المؤمنين).[3]

الأحكام السلطانية

---

1) ابن الربيع هو: أحمد بن محمد بن أبي الربيع، شهاب الدين : أديب، كان من رجال المعتصم العباسيّ . له تصانيف منها سلوك المالك في تدبير الممالك (218 - 272 هـ = 833 - 885 م) - (انظر :الأعلام - الزركلي - 205/1).

2) سلوك المالك في تدبير الممالك - ابن الربيع - ص15

3) المصدر نفسه - ص5.

للفراء[1](380هـ-458هـ)

يحدثنا الفراء عن سبب تأليفه لهذا الكتاب "الأحكام السلطانية" يقول:(لقد رأيت أن افرد كتابا في الإمامة، احذف فيه ما ذكرت هناك- أي كتابه المعتمد- من الخلاف والدلائل وأزيد فيه فصولا أخر تتعلق بما يجوز للإمام فعله من الولايات وغيرها).[2]

ولقد نقل أبو يعلي الفراء من كتاب الأحكام السلطانية للإمام الماوردي كثيرا، إلا أن ذلك لا يفقد كتاب أبي يعلي قيمته: (إن نقل أبي يعلي الفراء من كتاب الماوردي لا يفقد الكتاب قيمته العلمية في نظرنا، بل يبقي سادا للنقص الذي تركه كتاب الماوردي).[3]

ولقد ذكر الفراء منهجه في كتابه الاحكام السلطانية في مقدمة الكتاب : (فإني كنت صنفت كتاب الإمامة، وذكرته في أثناء كتب المعتمد، وشرحت فيه مذاهب المتكلمين وحجاجهم، وأدلتنا، والأجوبة عما ذكروه. وقد رأيت أن أفرد كتاباً في الإمامة، أحذف فـيه ما ذكرته هناك مع الخلاف والدلائل، وأزيد فيه فصولا أخر، تتعلق بما يجوز للإمام فعله من الولايات وغيرها).[4]

واحتوي الكتاب علي فصول عدة هي:

- **فصول في الإمامة.**
- **فصل في ولاية القضاة.**
- **فصل في الولايات على إمامة الصلوات.**
- **فصل في ولاية الحج.**
- **فصل في ولايات الصدقات.**
- **فصل في قسمة الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ.**
- **فصل في وضع الخراج والجزية.**
- **فصل فيم تختلف أحكامه من البلاد.**
- **فصل في إحياء الموات، واستخراج المياه.**
- **فصل في الحمي والإرفاق وَحِمَى الْمَوَاتِ.**
- **فصل في أحكام القطائع.**
- **فصل في وضع الديوان، وذكر أحكامه.**

غياث الأمم في التياث الظلم

للجويني[5](419هـ-478هـ)

---

1) الفراء هو: أبو يعلي محمد بن الحسين بن محمد خلف الفراء الحنبلي، ولد في بغداد سنة ثلاثمائة وثمانين للهجرة، كان شيخ الحنابلة في زمانه، عالما متبحرا في الفقه وأصوله وفروعه،وله مصنفات كثيرة منها : مسائل الإيمان،شرح المذهب،الأحكام السلطانية (انظر: البداية والنهاية - ابن كثير - 101/12.

2) الأحكام السلطانية - الفراء - ص19.

3) القاضي ابو يعلي الفراء وكتابه الأحكام السلطانية - محمد عبد القادر أبو فارس - ص539.

4) المصدر السابق - الفراء - المقدمة.

5) الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيَّوَيْهِ، إمام الحَرَمَيْن أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الْجُوَيْنيّ، الفقيه الملقَّب ضياء الدّين، رئيس الشّافعيّة بَنْيسابور ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة في المحَّرم، وتفقَّه على والده، فأتى على جميع مصنفاته، وتُوُفِّي أبوه وله عشرون سنة، فأُقعِد مكانه للتّدريس، فكان يدرّس ويخرج إلى مدرسة البيهقيّ . تُوُفـِّيَ: فِي الخَامِس وَالعِشْرِيْنَ مِنْ ربيع الآخر سَنَة ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ، ثُمَّ نُقِلَ بَعْد سِنِيْنَ إِلَى مَقْبَرَة الحُ سَيْن، فَدُفِنَ بِجنب وَالِده، وَكسرُوا منْبَره، وَغُلِّقَتِ الأَسواق، وَرُثِي بقصَائِد، وَكَانَ لَهُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِ مائَة تِلْمِيْذ، كَسرُوا محَابِرَهم وَأَقلاَمهُم، وَأَقَامُوا حَوْلاً). (انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - الذهبي - 424/10، سير أعلام النبلاء - الذهبي - 476/18)

سبب تأليف الجويني لكتابه الغياثي: ذكر الإمام الجويني مقصوده من تأليفه للغياثي في مقدمة الكتاب فقال: (ان هذا المجموع مطلوبه أمران أحدهما: بيان أحكام الله عند خلو الزمن من الأئمة والثاني: إيضاح متعلق العباد عند خلو البلد عن المفتين، المستجمعين لشرائط الاجتهاد).[1]

أهمية كتاب الغياثي: تأتي أهمية كتاب الغياثي إلى أمور عدة منها:

1. تناول الإمام الجويني في كتابه الغياثي أمور لم تكن مطروحة من قبل، وذلك بنص كلامه (إن معظم مضمون هذا الكتاب لا يلقي مدونا في كتاب، ولا مضمنا لباب).[2]
2. لم يفعل كما فعل الكثيرون من نقل المتقدمين، وذلك كما فعل القاضي أبو يعلي الفراء في كتابه الأحكام السلطانية ونقله كثيرا جدا من الإمام الماوردي من كتابه الأحكام السلطانية، فالإمام الجويني لم ينقل من متقدم، وعد ذلك من الخصال المقبوحة فقال:

(خصلة أحاذرها في مصنفاتي واتقيها، وتعافها نفسي الأبية وتجتويها، وهي سرد فصل منقول عن كلام المتقدمين).

التقديم

الأفتتاح وكلمة عن الكتاب

قيمة المخطوطة، واستهداف بعث الحياة في المخطوطات المتوارثه عن اسلافنا

الأهتمام بالتراث يوضح معالم الحضارة الإسلامية.

مكانة الغياثى بين الكتب السياسية، وهى

كتب تمثل أصالة الفقه السياسى وبعده عن التبعيه

كتب وضعها رجال الإدارة وأصحاب كتب المواعظ للحكام

كتب الفلاسفة التقليديين

المقدمة

1. **المؤلف: معالم حياته**

الجوينى بين شيوخه وتلاميذه

منهج المؤلف وأهم مؤلفاته

2. **الكتاب**

غياث الأمم والأحكام السلطانية – مقارنة

امتداد أفكار الجوينى إلى المتأخرين

3. **وصف المخطوطات ومنهجنا في التحقيق**

لوحات من المخطوطات

النص المحقق

حمد لله والثناء عليه

ثناء على كتابه النظامى

مدح نظام الملك نثراً ونظما

تقديم كتاب غياث الأمم

مضمون الكتاب أقسام الأحكام وتفصيل الحلال والحرام وهو نوعان

ما يتصل بالولاة والأئمة وما يستقل به المكلفون

أركان الكتب ثلاثة

القول في الإمامة

في تقدير خلو الرمان عن الأئمة

في تقدير انقراض حملة التشريع

كتاب الإمامة

---

1) الغياثي - الجويني - ص108

2) المصدر نفسه - ص139

الباب الأول

في معنى الإمامة ووجوب نصب الأئمة

مهام الإمامة ووجوب نصب الإمام

رد على من قال إن الله يحب عليه استصلاح العباد

الباب الثانى

في الجهات التي تعين الإمامة

لو ثبت النص في الشارع على إمام وجب الاتباع

الإمامية ادعت النص على إمامة على

الزيدية ادعت النص على إمامة على

بعض المنتمين الى السنة ادعت النص على إمامة أبى بكر

العباسية ادعت النص على إمامة العباسى

الرد على هذه الادعاءات ودحضها

الزعم بأن النص نقله آحاد

كيف يخفى هذه النص

أين كان النص يوم السقيفه؟

وضوح وبطلان من يدعى العلم بالنص

مناقشة الحديث: من كنت مولاه فعلى مولاه

مناقشة الحديث: أنت منى بمنزلة هرون من موسى

مناقشة الحديث: لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدمهم غيره

بطلان ادعاء النص

الاختيار من أهل الحل والعق

مناقشة الحديث: لا تجتمع أمتى على ضلالة

اذا صادفنا علماء الأمة مجمعين على حكم من الأحكام

اجتماع أهل المذهب ظانون مهما بلغ عددهم

مدار الكلام في إثبات الاجماع على العرف واطراده

إثبات الاختيار وبطلان مذاهب أصحاب النصوص

الباب الثالث

في صفات اللذين هم من أهل العقد وتفصيل القول في عددهم

مضمون هذا الباب فصلان يسبقهما تنبيه الى القواطع الشرعية

الفصل الأول: يبدأ بمحمل الاجماع في صفة أهل الاختيار

ثم ينعطف على مواقع الاجتهاد والظنون

النسوة والعبيد والعوام وأهل الذمة لا مدخل لهم في نصيب الأئمة

لا يصلح لعقد الإمامة إلا المجتهد المستجمع لشرائط الفتوى

يكفى أن يكون ذا عقل وكيس فضل

مناقشة الرأيين، وإرجاء ما نختاره إلى خاتمة الفصل

الفصل الثانى: في ذكر عدد من إليه الاختيار والعقد

الإجماع ليس شرطاً في عقد الإمامة

أتنعقد الإمامة ببيعة اثنين أم أربعة أم أربعين؟

رأى الباقلانى وأبى الحسن الأشعرى الاكتفاء بواحد

مناقشة هذه الوجوه جميعها

ما انتهى إليه المؤلف حصول الطاعة ولو بواحد

صفة من يعقد أن تكون مبايعة منه واقتدار (مؤجلة من الفصل الأول)

اشتراط حضور شهود

الباب الرابع
في صفات الإمام القوام على أهل الإسلام
الصفات المكتسبة
ما يتعلق بالحواس والأعضاء
ما يتعلق بالصفات اللازمة النسب قرشى أو غير قرشى
صفات الذكورة والحرية وتحيزة العقل والبلوغ
الصفات المكتسبة: العلم، التقوى، الرأي
فصل القول في العصمة وتقسيمها وتفصيلها وتحصيلها
طوائف من الإمامية ترى وجوب العصمة لكل من يتعلق به طرف من مصالح الأمة
الباب الخامس
الطوارئ التي توجب الخلع والانخلاع
لو أنسل الإمام عن الدين، أو جن، أو ظهر خبل في عقله
الفسق إذا تحقق طرآنه
الإمام لو طرأ عليه عرض أو عراه مرض
مبنى هذه الكلام على مصلحة المسلمين
سيرة على في معاوية
طوائف من مجلة أصحاب رسول الله تخلفوا عن القتال
نصائح أبى موسى الأشعري لأهل اليمن
فصل: إذا أسر الأمام وحبس في المطامير
فصل: في شرائط الإمامة
فصل: في تقاسيم ما يطرأ على المتصدى للإمامة من الفسوق والعصيان وغيره
فصل: في الخلع والإنخلاع والفرق بينهما
من يخلع الإمامة
الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة ورام العاقدون له أن يخلعوه
وذهب ذاهبون إلى أن الإمام له أن يخلع نفسه
فصل فيمن يستتيبه الإمام ويوليه مقاليد الأمور
من يوليه العهد بعد وفاته
لو رتب العاهد التوليهفى مذكورين صالحين للأمر
لو قال العاهد الإمام بعدى فلان ثم فلان ثم فلان
أما إذا استناب في حياته نائباً
منصب الوزير القائم مقام الإمام في تنفيذ الأحكام
صاحب هذا المنصب أيجوز أن يكون ذمياً؟
أما الذين يستتيبهم في بعض الأمصار والأقطار
إذا طرأ على الولاة أحوال لو كانوا عليها ابتداء لمل جاز نصبهم
الباب السادس
في إمامة المفضول
الزيدية ومعها طوائف ترى تصحيح عقد الإمامة للمفصول
إذا كانت الحاجة في مقتضى الإيالية تقتضى تقديم المفصول قدم
الإمامة لا تنعقد إلا بعقد من يستعقب عقده منعه
الباب السابع
في منع نصب إمامين
تجويز نصب إمام في القطر الذى لا يبلغه نظر الإمام
اختلف الفقهاء في جواز نصب قاضيين في بلده واحدة

الباب الثامن

تفصيل ما إلى الأئمة والولاة
نظر الإمام في أمور الدين ثم في أمور الدنيا
بم يزع من يزيغ عن المنهج المستقيم
اذا لم تكن البدعة ردة، وأصر عليها منتحلها فبماذا يدفع الإمام
فإذا قيل فعلوا ما يقتضى التكفير وما يوجب التبديع والتضليل
اختلاف العلماء في فروع الشريعة
السعي في دعاء الكافرين إلى الدين
وجه ارتباط العبادات بنظر الإمام
ما يتعلق بالأئمة من أحكام الدنيا
الأموال التي تمتد يد الإمام إليها
الجهاد في حق الإمام بمثابة فرائض الأعيان
اعتناء الإمام بسد الثغور
نفض أهل العرامة من خطة الإسلام
فصل الخصومات
قتال أهل اتلبغى -قطاع الطرق- أهل البدع إذا كثروا
العقوبات: الحدود والتعزيزات
فتوى عن الوقاع في نهار رمضان وردها
عقوبة الشرب كانت أربعين جلدة فصارت ثمانين
استمرار العقوبات مع تقدير المعاودات
توبة الزنديق
الولاية: السلطان ولى من لا ولى له
سد الحاجات والخصاصات
فإن بقى فقراء محتاجون لم تف الزكوات بحاجاتهم
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
الإمام يحتاج إلى الاعتضاد بالعدد والعتاد
لابد من الاستعداد بالأموال
القول الضابض في كل المصاريف
إذا صفرت يد راعى الرعية عن الأموال والحاجة ماسة
فصل: إذا وطئ الكفار ديار الإسلام
الإمام يكلف الأغنياء من بذل فضلات الأموال ما يحصل به اللكفاية
الكلام في الأموال وقد صفر بيت المال
من قال إن الإمام يأخذ ما يأخذ في معرض الأقتراض
لست أمنع من القتراض على بيت المال
المغانم في وضع الشرع ليست مقصودة
إن قيل إن ما ذكر نموه لم يكون في زمن الخلفاء الراشدين
وجوب الاستظهار بالادخار
نزف أموال العصاه لا نرى له أصلا
فصل: في مستخلفى الإمام
ينبغي أن يكون المولى مستجمعاً خصلتين
استجماع صفات الاجتهاد في المولى بين الشافعية والأحناف
القاضي مجتهداً أو مقلدا
انتصاب غر للقضاء لا يفهم العربية

الركن الثانى: القول في خلو الزمام عن الإيام (3 أبواب)
الباب الأول: في انخرام الصفات المعتبرة في الأئمة
عدم النسب
القول في فقد رتبة الاجتهاد
لو فرض فاسق يشرب الخمر حريص على الذب عن حوزة الإسلام
القول في قرشى ليس بذى دراية إذا عاصره عالم كاف تقى
القول في ظهور مستعد بالشوكة مستول: ثلاثة أقسام
إذا كان المستظهر صالحاً للإمامة
إذا خلا الزمان من أهل العقد والحل
إذا اتخذ من يصلح وفى العصر من يختار ويعقد
الرأي عندى أنه لا حاجة إلى إنشاء عقد
إذا لم يكن مستظهراً بنجدة وعدة
لا يجوز عقد الإمامة لفاسق
أن يستولى كاف ذو استقلال بالأشغال وليس على خلال الكمال
إذا خلا الزمان عن كامل على تمام الصفات
إذا كان المستولى صالحاً لللإمامة
كنايات عن سيد الدهر نظام الملك
توحد شخص بالاستعداد بالأنصار
تعدى الأجنار على بعض حدود الاقتصاد
هم حماة الدماء والأموال والحرمات
قتل عمر بن الخطاب دلالة على وجوب الربط
أليس بهم انحصار الكفار في أقصى الديار؟
يدفع الله بهم البدع والأهواء
اقتلاعهم قلعة القرامطة
الموقعة بين الروم وألب أرسلان السلجوقى
أيثقل أهل الإسلام نفقة هؤلاء المقاتلين
الجهاد فرض كفاية، وهو أعلى من فرائض الأعيان
قضية تشوق الإمام إلى بيت الله الحرام
لو بغت فئة على الإمام وتولوا بعده وعتاد وولوا قضاه
ما للإمام: أن تنفذ أحكامه
ما عليه: الاهتمام بمجارى الأخبار
وجوب مراجعة العلماء
إذا كان السلطان لم يبلغ الاجتهاد فالمتبعون العلماء والسلطان شوكتهم
إذا نشأ ناشئة من الزنادقة والمعطلة
مسئولية الإمام عن الرعية كاملة
خلو الزمان عن الكفئة ذوى العرامة وعمن يستحق الأمانة
يكفى أن يكون ذا حصاة واستقلال بعظائم الأمور
إذا شغر الزمان عن كاف مستقل بقوة
ما يسوغ فيه استقلال الناس بأنفسهم
لو خلى الزمان عن السلطان فحق على أهل كل بلدة أن يقدموا من ذوى الأحلام من يلتزمون إشارته وأوامره
تزويج الأيامى
كل أمور الأموال العامة توكل إلى العلماء

القول في المكاسب
لو فسدت المكاسب كلها وطبق طبق الأرض الحرام
إذا اضطر المرء فإلى أي حد يستبيح من الميته
الأدوية والعقاقير والفواكه
القول في الملابس

التبر المسبوك في سياسة الملوك

لأبي حامد الغزالي[□] (ت505هـ)

(ألف الإمام الغزالي كتابه التبر المسبوك يخاطب فيه السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، مذكرا إياه بنعم الله مضمنا إياه نصائح من أهمها الالتزام بالعدل).[2]

(كتاب وجيز وضعه الإمام أ بو حامد الغزالي للملك العادل السلطان محمد ابن ملكشاه، كتبه باللغة الفارسية ونقله إلى العربية بعض تلامذته وهو مشتمل على الحكمالبالغة والنصائح الرائعة والحكايات التي تشتمل على العظة وتدعو إلى الاعتبار، ولكنه على فضل واضعه وتحقيقه لا يخلو مما يُنتقَد على كتب الوعظ وهو كثير).[3]

ولقد بدأ أبو حامد الغزالي كتابه التبر المسبوك بالعقيدة، فبدأ الكتاب بأصول الإيمان ثم تحدث في سياسة الوزارة وسيرة الوزراء وبعد ذلك تحدث في ذكر الكتاب وآدابهم وتكلم عن سمو همم الملوك ثم عرض في ذكر حلم الحكماء ثم تكلم عن شرف العقل والعقلاء واختتم كتابه في ذكر النساء، والمحور الأساسي لكتاب التبر المسبوك في نصيحةالملوك هو توجيه الحاكم في صفاته وأخلاقه ووظائفه ليكون عادلا منفذا لمصالحالرعية مطبقا لشرع الله، ومن ثم لم يتطرق الغزالي لمفهوم واضح للأمة أوحقوقها في مواجهة الحكام.

فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية

لأبي حامد الغزالي[□]

أهمية الكتاب:

(قدم الإمام أبو حامد الغزالي كتابه "فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" إلي الخليفة المستظهر بالله،وترجع أهمية هذا الكتاب في انه يلقي الضوء علي احدي الفرق الصدامة التي أثارت الفتن والقلاقل في العالم الإسلامي،وعملت هذه الفرق علي الحيلولة والدهاء السياسي للقضاء علي الإسلام،ومن هذه الفرق فرقة الباطنية التي ظهرت تحت أسماء كثيرة منها:الإسماعيلية،والقرامطة،إخوان الصفا،الفاطميون،الدروز،وقد استغل هؤلاء الباطنيون التشيع

---

1) أبو حامد الغزالي هو: مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن أَحمد، الإمام زين الدّين أبو حَامد الغزّاليّ، الطّوسيّ، الفقيه الشّافعيّ، حُجّة الإسلام،قرأ قطعة مِن الفقه بطُوس عَلَى أحمد الرّاذكانيّ، ثمّ قِدم نيسابور في طائفة مِن طَلَبة الفقه، فجدّ واجتهد، ولزِم إمام الحرمين أبا المعالي حتّى تخرَّج عن مدّة قريبة، وصار أنْظَرَ أهل زمانه، وواحد أقرانه، وأعادَ للطَّلَبة، وأخذ في التّصنيف والتّعليق،أحد أئمة الشافعية في التصنيف والترتيب والتقريب والتعبير والتحقيق والتحرير، وسافر وله ترجمة مجموعة من كلام الحافظ أ بي القاسم ابن عساكر وابن النجار وابن الصلاح، وشيخنا الذهبي في تاريخه وغيرهم، ولد رحمه الله بطوس سنة خمسين وأربع مائة، السنة التي توفي فيها الماوردي، وأبو الطيب الطبري، وكان والده يغزل الصوف، ويبيعه في دكانه بطوس مات يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خم س وخمس مائة، عن خمس وخمسين سنة، ودفن بمقبرة الطابران وهي قصبة بلاد طوس رحمه الله (انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام - الذهبي - 62/11، طبقات الشافعيين - ابن كثير - ص353)

2) التبر المسبوك في سياسة الملوك - ابو حامد الغزالي - ص186.

3) مجلة المنار - محمد رشيد رضا - 43/3.

4) سبق ترجمته .

كستار لتحقيق أهدافهم من خلاله،فكانت الدعامة الفكرية الأولي التي قام عليها فكرهم السياسي هي فكرة الإمامة،وهي فكرة شيعية الأصل طرأت عليها بعض التعديلات والتطورات،فما كان من الإمام الغزالي إلا أن تصدي لفكرهم هذا في كتابه فاضحا إياه بنقده للباطنية).[1]

أما عن سبب تأليفه لهذا الكتاب فيقول: (قمت بتصنيف كتاب فِي الرَّد على الباطنية مُشْتَمل على الْكَشْف عَن بدعهم وضلالاتهم وفنون مَكْرهمْ واحتيالهم وَوجه استدراجهم عوام الْخلق وجهالهم وإيضاح غوائلهم فِي تلبيسهم وخداعهم وانسلالهم عَن ربقة الْإِسْلَام وانسلاخهم وانخلاعهم وإبراز فضائحهم وقبائحهم بِمَا يُفْضِي إِلى هتك أستارهم وكشف أغوارهم فَكَانَت المفاتحة بالاستخدام فِي هَذَا المهم فِي الظَّاهِر نعْمَة أجابت قبل الدُّعَاء ولبت قبل النداء وَإِن كَانَت فِي الْحَقِيقَة ضَالَّة كنت أنشدها وبغية كنت أقصدها فَرَأَيْت الِامْتِثَال حتما والمسارعة إلىالارتسام حزما وان تدبت لتصنيف هَذَا الْكتاب مَبْنِيا على عشرَة أبواب سَائِلًا من الله سُبْحَانَهُ التَّوْفِيق لشاكله وَالصَّوَاب وسميته (فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) وَالله تَعَالَى الْمُوفق لإتمام هَذِه النِّيَّة).[2]

واحتوي الكتاب على عشرة أبواب وهي:

- **الْبَاب الأول: فِي الْإِعْرَاب عَن الْمنْهَج الَّذِي استنهجته فِي سِيَاق هَذَا الْكتاب.**
- **الْبَاب الثَّانِي: فِي بَيَان ألقابهم والكشف عَن السَّبَب الْبَاعِث لَهُم على نصب هَذِه الدعْوَة المضلة.**
- **الْبَاب الثَّالِث: فِي بَيَان دَرَجَات حيلهم فِي التلبيس والكشف عَن سَبَب الإغترار بحيلهم مَعَ ظُهُور فَسَادهَا.**
- **الْبَاب الرَّابِع: فِي نقل مَذْهَبهم جملَة وتفصيلا.**
- **الْبَاب الْخَامِس: فِي تأويلاتهم لظواهر الْقُرْآن واستدلالهم بالأمور العددية.**
- **الْبَاب السَّادِس: فِي إِيرَاد أدلتهم العقلية على نصْرَة مَذْهَبهم والكشفعَن تلبيساتهم الَّتِي زوقوها بزعمهم فِي معرض الْبُرْهَان على إبطَال النّظر الْعقلِيّ.**
- **الْبَاب السَّابِع: فِي إبطَال استدلالهم بِالنَّصِّ على نصب الإمام الْمَعْصُوم.**
- **الْبَاب الثَّامِن: فِي مُقْتَضى فَتْوَى الشَّرْع فِي حَقهم من التَّكْفِير والتخطئة وَسَفك الدَّم.**
- **الْبَاب التَّاسِع: فِي إِقَامَة الْبُرْهَان الفقهي الشَّرْعِيّ على أَن الإِمَام الْحق فِي عصرنا هَذَا هُوَ الإِمَام المستظهر بِاللَّه حرس الله ظلاله.**
- **الْبَاب الْعَاشِر: فِي الْوَظَائِف الدِّينِيَّة الَّتِي بالمواظبة عَلَيْهَا يَدُوم استِحْقَاق الْإِمَامَة.**

سراج الملوك

للطرطوشي[3] (451هـ.520هـ)

عدد الطرطوشي وقسم كتابه وزينه لقارئه في مقدمة الكتاب فقال في كتابه سراج الملوك : (كثير الفائدة لم تسبق إلي مثله أقلام العلماء، ولا جالت في نظمه أفكار الفضلاء، ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء، فلا يسمع به ملك إلا اكتتبه ولا وزير إلا استصحبه، ولا رئيس إلا استحسنه واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة،وجنة لمن تحصن به أولي الإمرة والسياسة ،وجمال لمن تحلي به من أهل الآداب والمحاضرة ،وعنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة والمذاكرة وسميته سراج الملوك).[4]

---

1) فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية - ابو حامد الغزالي - المقدمة.

2) المصدر نفسه - المقدمة.

3) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب، أبو بكر الفهريُّ الطرطوشيُّ الأندلسيُّ الفقيه المالكيُّ،نزيل الإسكندرية، وطرطوشة: آخر بلاد المسلمين من الأندلس، وقد عادت للفرنج، ويُعرف بابن أبي زندقة،وقد صنَّف كتاب "سراج الملوك" للمأمون ابن البطائحي الذي ولي وزارة مصر بعد الأفضل، وصنَّف طريقة في الخلاف وكان المأمون قد بالغ في إكرامه،ولد تقريباً سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وتوفي ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة بثغر الإسكندرية، وصلى عليه ولده محمد، ودفن في مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر، رحمه الله تعالى؛ وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة أنه توفي في شعبان من السنة المذكورة. (انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام - الذهبي - 325/11، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - 264/4)

4) سراج الملوك - الطرطوشي - ص4

(كتاب سراج الملوك قدمه الطرطوشي للوزير المأمون بفسطاط وهو يتناول فيه نصائح الملوك ويحلل صفات الولاة والقضاة والعلاقة بين الحاكم الأعلي ورعيته ونظام الدولة، وصفات الوزراء والجلساء، والشروط الواجب توافرها في حاشية السلطان).[1]

(أن خليفة مصر العبيدي امتحنه، وأخرجه من الإسكندرية، ومنع الناس من الأخذ عنه، وأنزله الأفضل وزير العبيدي في موضع لا يبرح منه، فضجر من ذلك، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ! اجمع لي المباح من الأرض، فجمع له فأكله ثلاثة أيام؛ فلما كان عند صلاة المغرب، قال لخادمه : رميته الساعة، فركب الأفضل من الغد، فقُتل، وولي بعده المأمون البطائحي، فأكرم الشيخ إكرامًا كثيرًا، وصنف له الشيخ كتاب سراج الملوك).[2]

المنهج المسلوك في سياسة الملوك

للشيزري (ت590هـ)

يقول الشيزري في سبب تأليف هذا الكتاب: (جمعت لخزانة علوم صَلاح الدين هذا الكتاب، وهو يحتوي على طرائف من الحكمة، وجواهر من الأدب، وأصولٍ فيالسياسة وتدبير الرعية، ومعرفة أركان المملكة، وقواعد التدبير وقسمة الفيءوالغنيمة على الأجناد، وما يلزم أهل الجيش من حقوق الجهاد، ونبهت فيه علىالشيم الكريمة، والأخلاق الذميمة، وأشرت فيه إلى فضل المشورة والحث عليها، وكيفية مصابرة الأعداء، وسياسة الجيش، وأودعْتُه من الأمثال ما يسبق إلىالذهن شواهد صِحَّتها، ومعالم أدلتها، مع نوادر من الأخبار، وشواهد من الأشعار).[3]

وفي حديثه عن أسباب نجاح سياسة الملك وأسباب فشلها، فإنه يُوَجِّه نصيحة مهمة لصَلاح الدين إذ يقول:

(إن الأسباب التي تجر الـهُلْك إلى المُلْك ثلاثةُ أسباب، أحدها: من جهة المَلِك، وهو أن تغلُب شهواته على عقله، فلا تسنح له لذة إلا افتضَّها، ولا راحة إلا افترضها الثاني: الوزراء، وهو تحاسدهم المقتضي لتعارض الآراء، فلا يسبق أحدهم إلى حقٍّ إلا فنَّدُوهوعارضوه الثالث: من جهة الجند، وخواصِّ الأعوان، وهو النكول عن الجلاد، وترك المناصحة في الجهاد).[4]

تهذيب السياسة وترتيب الرياسة

للقلعي( )(ت630هـ)

يتحدث القلعي عن كتابه تهذيب السياسة وترتيب الرياسة وما احتواه ذلك الكتاب فيقول : (هذا الكتاب جمعته في تهذيب الرياسة وترتيب السياسة وجعلته قسمينالقسم الأول منه يشتمل على أنواع أبواب يحتوي على غرر من كلام الحكماء ودرر الفصحاء ما ينسبك في قالب الأمثال الشاردة

---

1) مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - العدد 4 - 259/2
2) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي - 453/1، الوافي بالوفيات - الصفدي - 115/5
3) المنهج المسلوك في سياسة الملوك - الشيزري - ص158
4) المصدر نفسه - ص558
5) القلعي هو : محمد بن علي بن الحسن القلعي فقيه باحث من علماء الشافعية نسبته إلى قلعة حلب على الأرجح حج ومر بزبيد، واشتهر في ظفار وحضرموت، ومات بمرباط، له مصنفات كثيرة منها (تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة) و (أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر) أوراق منه، في دار الكتب، و(إيضاح الغوامض في علم الفرائض) مجلدان، و(لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار) و (كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ) يعني ألفاظ المهذب في فروع الشافعية . (انظر : الأعلام - الزركلي - 281/6)

وينتظم في سلك الحكم الواردة يتضمن محاسن الأوصاف المحمودة من ذوي الأمر وذم أضدادها وما يجب استعماله أو تركه من الأمور التي يحمد متبعها عاقبة إصدارها وإيرادها.

والقسم الثاني بحكايات من الخلفاء ووزرائهم وعمالهم وأمرائهم مما يدل على نبلهم وغزارة فضلهم وحسن سيرتهم وكمال مروءتهم وما اشتملت عليه طرائقهم وحوتة خلائفهم من العدل والإنصاف والبذل والإسعاف والعفو عند الاقتدار ومعرفة حقوق ذوي الأقدار وقبول النصح).[1]

أساس السياسة

للقفطي[2] (ت646هـ)

ألف الوزير جمال الدين القفطي كتابه أساس السياسة كإهداء لصلاح الدين الأيوبي من منطلق انه: (لما كان النصح في الدين من اوكد الواجبات فرضا ، والقيام به من أنفس ما يقدمه المدخر عند الله فرضا، وكان أحق من زفت إليه عقايل النصايح، وأول من نبه بالكلم الطيب علي العمل الصالح، من كانت بضايع الخير عنده نافقة، وسريرته في الرعايا لحقوق الله سبحانه لعلانيته موافقة، وعزيمته في القيام بأوامر الله صحيحة صادقة مولانا السيد الأجل السلطان العادل المجاهد المرابط عثمان بن يوسف "صلاح الدين" اعزه الله لمصره، واسعد به عصره، وعمر ببقائه ممالكه وخص من بينها مصره،فانه من الملوك التي سعدت به رعيته، ويرجو ان يصادف من نظر مولانا بعين الرضا إليها ما يزلفها لديه، ويحظيها ويعطي علي معايبها ومساويها).[3]

الجوهر النفيس في سياسة الرئيس

ابن الحداد[4] (ت639هـ)

عن سبب تأليف ابن الحداد لكتابه هذا يقول : (وَلما كَانَ الْعدْل هُوَ ميزَان الله فِي أرضه، وَبِه يتَوَصَّل إِلَى أَدَاء فَرْضه، بادرت إِلَى جمع لمْعَة فِيمَا ورد من محَاسِن الْعدْل والسياسة لِذَوي النفاسة، وأرباب الرياسة وجعلتها كتابا ووسمته " بالجوهر النفيس فِي سياسة الرئيس).[5]

لقد اهدي ابن الحداد كتابه هذا إلي الأمير بدر الدين لؤلؤ، وهو شخصية معروف عنها الظلم والجور كما أشار إلي ذلك بعض المؤرخين، إلا أننا نجد أن ابن الحداد يكتب إلي هذا الوزير، ويصفه بغير ذلك ويقول: (إن الذي حداني إلي ذلك ما انتشر في البلاد واشتهر بين العباد من حسن سيرة المولي "بدر الدين لؤلؤ " الأمير الكبير الأمجد العالم العدل الكامل العابد، ملك الأمراء المتقدمين، خالصة أمر المؤمنين، سعد الدنيا والدين، ولي الدولة البدرية، وصفي الدولة الرحمية، خلق الله سلطانها واعلي الدارين مقامها، ولما تم هذا الكتاب كالدرر العقيان في نحو الحسان حملته

---

1) تهذيب السياسة وترتيب السياسة ـ القلعي ـ المقدمة.

2) القفطي هو : (على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد، الوزير الاكرم جمال الدين أبو حسن القفطى، المعروف ايضاً بالقاضى الاكرم، وزير حلب، كان إماماً إخبارياً مؤدباً، جم الفوائد، وافر الفضائل صدراً محتشماً، وهو أخو المؤيد القفطى نزيل حلب وجاوز الستين من عمره، مات في رمضان سنة 646هـ). (انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام – الذهبى 553/14).

3) أساس السياسة ـ القفطي ـ ص16

4) ابن الحداد هو: محمد بن منصور حبش الموصلى المعروف بإبن الحداد، توفى سنة 673هـ) (انظر: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس – ابن الحداد – المقدمة).

5) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ـ ابن الحداد ـ المقدمة.

خدمة مني لمحروس خزانته العامرة، ليزداد من حسن سيرته ،بث الله قواعد سلطانه ،وأيد بتأييده أعوانه).[1]

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي الرعية

ابن تيمية[2] (ت 728هـ):

ألف ابن تيمية كتابه السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية بطلب من ولي الأمر في مصر الشام في عصره الملك الناصر أبي الفتح محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي "ت 741هـ"، و يقول شيخ الإسلام عن هدف تأليفه لكتاب السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية: (هَذِهِ رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ فِيهَا جَوَامِعُ مِنْ السِّيَاسَةِ الإلهية والآيات النَّبَوِيَّةِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةُ، اقْتَضَاهَا مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ نُصْحَهُ مِنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ)، فيما ثبت عنه من غير وجه في صحيح مسلم وغيره : (إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تناصحوا من ولاه الله أمركم)[3] وهذه الرسالة مبنية على آيتين في كتاب الله.

تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام

لابن جماعة[4] (ت 733هـ)

يعتبر من أهم الكتب في القرن الثامن الهجري، فوضح مضمون كتابه فقال: (هذا مختصر في جمل من الأحكام السلطانية، ونبذ من القواعد الإسلامية، وذكر أموال بيت المال وجهاته، وما يصح من عطائه وإقطاعاته، وما يستحقه المرصدون للغزو والجهاد، وذكر أكابر الأمراء والأجناد، وآلات القتال من السلاح والأعتاد، وكيفية القتال، ومن المخاطب من أهله، وتفصيل أموال الفيء والغنائم وأقسامها، وما يختص بها من تفصيل أحكامها، وذكر هدنة المشركين، وأحكام أهل الذمة والمستأمنين).[5]

ولقد احتوي الكتاب علي سبعة عشر أبواب وهي:

- الباب الأول: في وجوب الإمامة وشروط الإمام وأحكامه.
- الباب الثاني: فيما للخليفة والسلطان وما عليه مما هو مفوض إليه.
- الباب الثالث: في تقليد الوزراء وما يتحملونه من الأعباء.
- الباب الرابع: في اتخاذ الأمراء لجهاد الأعداء.
- الباب الخامس: في حفظ الأوضاع الشرعية وقواعد مناصبها المرضية.
- الباب السادس: في اتخاذ الأجناد، وإعدادهم وتفريغهم للقيام بفرض الجهاد.

---

1) المصدر نفسه - ص63.
2) ابن تيمية هو : أحمد بن ع بد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وكان واسع المعرفة بالتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغير ذلك موصوفا بالاجتهاد، مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة مسجونا بقلعة دمشق. (انظر: الأعلام - الزركلي - 144/1)
3) أخرجه احمد في مسنده (8785).
4) ابن جماعة هو: محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكنا ني الحموي الشافعي؛ ولد بحماة سنة تسع وثلاثين وستمائة، وولي مناصب كباراً، وكان يخطب من إنشائه، وصنف في علوم الحديث وفي الأحكام، وله " رسالة في الكلام على الاسطرلاب "، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، رحمه الله (انظر: فوات الوفيات - محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ) - 298/3
5) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام - ابن جماعة - ص45

- الباب السابع: في عطاء السلطان وجهاته وأنواع اقطاعاته.
- الباب الثامن: في تقدير عطاء الأجناد وما يستحقه أهل الجهاد.
- لباب التاسع: في اتخاذ الخيل والسلاح والأعتاد للقائمين بفرض الجهاد.
- الباب العاشر: في وضع الديوان وأقسام ديوان السلطان.
- الباب الحادي عشر: في فضل الجهاد، ومقدماته، ومن يتأهل له من حماته.
- الباب الثاني عشر: في كيفية القتال والصبر على مقارعة الأبطال.
- الباب الثالث عشر: في الغنيمة، وأقسامها، وتفاصيل أحكامها.

الفخري في الآداب السلطانية

لابن طباطبا[1] (ت709هـ):

(هذا الكتاب لمحمد بن علي بن طباطبا العلوي الشيعي المعروف بابن الطقطقي، وقدم هذا الكتاب إلي فخر الدين عيسي عامل السلطان المغولي غازان علي الموصل سنة 701هـ، وهذا الكتاب التي تتحيز إلي المغول حيث يسمي دولة المغول "الدولة القاهرة " ويدعو الله "أن ينشر إحسانها ويعلي شأنها"). [2]

أما عن ما يحتويه الكتاب يقول الطقطقي : (هذا كتاب تكلّمت فيه على أحوال الدّول وأمور الملك، وذكرت فيه ما استظرفته من أحوال الملوك الفضلاء، واستقريته من سير الخلفاء والوزراء وبنيته على فصلين

فالفصل الأول تكلّمت فيه على الأمور السلطانية والسّياسات الملكيّة وخواص الملك التي يتميّز بها عن السّوقة، والتي تجب أن تكون موجودة أو معدومة فيه وما يجب له على رعيته وما يجب لهم عليه، ورصعت الكلام فيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، والحكايات المستطرفة والأشعار المستحسنة.

والفصل الثاني: تكلّمت فيه على دولة من مشاهير الدول التي كانت طاعتها عامّة، ومحاسنها تامّة، ابتدأت فيه بدولة الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان وعليّ (رضي الله عنهم) على الترتيب الّذي وقع، ثمّ بالدولة التي تسلّمت الملك منها وهي الدولة الأمويّة، ثم بالدولة التي تسلّمت الملك منها وهي الدولة الأموية، ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها، وهي الدولة العبّاسيّة ثمّ بالدول التي وقعت في أثناء الدّول الكبار، كدولة بني بويه، وكدولة بني سلجوق وكدولة الفاطميين بمصر على وجه الإيجاز، فإنّها دول وقعت في أثناء دولة بني العبّاس ولكنها لم تكن طاعتها عامة). [3]

وعن أهمية كتاب الفخري في الآداب السلطانية يقول ابن طباطبا: (هذا كتاب يحتاج إليه من يسوس الجمهور، ويدبّر الأمور، وإن أنصفه النّاس أخذوا أولادهم بتحفظه، وتدبّر معانيه، بعد أن يتدبّروه هم، فما الصغير بأحوج إليه من الكبير، ولا الملك العامّ الطاعة، بأحوج إليه من ملك مدينة ولا ذوو الملك بأحوج إليه من ذوي الأدب، فإنّ من ينصّب نفسه لمفاوضة الملوك، ومجالستهم ومذاكرتهم، يحتاج إلى أكثر ممّا في هذا الكتاب، فعلى أقلّ الأقسام لا يسعه تركه). [4]

---

1) ابن طباطبا هو: محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلويّ، أبو جعفر، المعروف بابن الطقطقي، مؤرخ بحاث ناقد، من أهل الموصل. خلف أباه سنة 672 هـ في نقابة العلويين بالحلة والنجف وك ربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان وزار مراغة سنة 696هـ وعاد إلى الموصل، فألف فيها سنة 701 هـ كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية وقدمه إلى واليها فخر الدين عيسى بن إبراهيم ولعله توفي بها . (انظر: الأعلام - الزركلي - 283/6).

(2) الفخري في الآداب السلطانية - ابن طباطبا - ص5.

(3) المصدر نفسه - المقدمة.

(4) المصدر نفسه - المقدمة

الطرق الحكمية في السياسة الشرعي

ابن قيم الجوزية[1] (691ـ751هـ)

بدأ ابن القيم كتابه بذكر سؤال ورد عليه، خلاصته : هل يجوز للقاضي ان يحكم بفراسته وبالقرائن التي يظهر له فيها الحق، فقال في الجواب علي السؤال : (هذه مسألة كبيرة عظيمة النفع جليلة القدر، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقا كثيرا، وأقام باطلا كبيرا وا ن توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية، وقع في أنواع من الظلم والفساد).[2]

أما عن سبب تأليف ابن قيم الجوزية لكتابه الطرق الحكمية: (ألفه ردا علي سؤال سائل في طرابلس الشام ولم يقدم لأي حاكم).[3]

ويقول في مقدمة الكتاب: (فقد سألنى أخى عن الحاكم أو الوالى يحكم بالفراسة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالامارات ولا يقف مع مجرد ظواهر البيانات والاقرار، حتى أنه ربما يتهدد أحد الخصمين إذا ظهر منه أنه مبطل وربما ضربه سأله عن أشياء تدل على صورة الحال).[4]

وقد احتوى على فصول عدة:

1. دعوى قتل ابى جهل.
2. الاكراه على الفاحشة.
3. من عجائب القضاه.
4. الحكم بشهادة شاهد واحد بدون يمين.
5. الرسول يجيز شهادة المقابلة.
6. شهادة الرجل الواحد.

معيد النعم ومبيد النقم

السبكي[5] (ت771هـ)

(حاز هذا الكتاب إعجاب المستشرقين فعرض له بركلمان ووستفلد وتوفر علي الاهتمام به المستشرق السويدي "مهرمن" الذي درس الكتاب ووضع له مقدمة حافلة بحياة المؤلف).[6]

أما عن سبب تأليف السبكي لهذا الكتاب يقول : (لقد ورد علَّى سؤال مضمونه : هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية، إذا سلكها عادت إليه وردت عليه؟ فكان الجواب : طريقه أن يعرف: من أين أتى فيتوب منه ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها، ثم يتضرع إلى الله تعالى بالطريقة التي نذكرها، فقال ليَّ السائل: أشرح لنا هذه الامور مبيناً باختصار، وصف لنا هذا الدواء

---

(1) ابن قيم الجوزية: هو: (محمد بن أبى بكر أيوب بن سعد بن حريز الزرعى الدمشقى شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزيه الحنبلى، وهو الامام المتضلع الجهيز، والجبل الراسخ، والاصولى الفقى النحوى، توفى سنة 751 ه). (أنظر: معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية – وليد بن محمد البدوى ص136).

(2) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ـ ابن القيم الجوزية ـ ص17

(3) المصدر نفسه ـ ص15

(4) المصدر نفسه – ص 4.

5) السبكي هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر قاضي القضاة، المؤرخ، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها، نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية بمصر وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون. (727 - 771 هـ =1327 - 1370 م). (انظر: الأعلام ـ الزركلي ـ 184/4)

6) معيد النعم ومبيد النقم ـ السبكي ـ مقدمة المحققين.

وصفاً واضحاً؛ لنستعمله، فبحثت هذه الأمور في بحث سميته "معيد النعم ومبيد النقم " بحثاً مختصراً). [1]

حسن السلوك الحافظ دولة الملوك

محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي[2](699 - 774هـ)

كتب العلامة محمد الموصلي كتابه هذا بناء على طلب حاكم عصره، وذكر منهجه في كتابه فقال: (رأيت أن اكتب له ما ورد في فضل الإحسان والعدل، فانه متصف بهما مع ما فيه من الفضائل، وأقص في ضمن ذلك السياسة الشرعية مما فيه مصلحة الراعي والرعية). [3]

أما عن سبب تأليفه للكتاب فيقول في مقدمة الكتاب: (فقد ندبني من وجب إجابة سؤاله وتعينت تلبية مقاله لما له لما له علي من الاحسان الوافر والبر المتواتر أن أكتب له من العلم ما يليق محاله ويبلغه من خيري الدنيا والآخرة نهاية آماله، وكان ذلك إحسان ظن منه بالفقير وإحسان الظن سبب للخير الكثير فرأيت أن أكتب له ما ورد في فضل العدل والاحسان). [4]

أحتوى الكتاب على سبعة عشر فصل وهى:

- **الفصل الأول: العدل.**
- **الفصل الثاني: الطرق إلى العدل.**
- **الفصل الثالث: الولايات.**
- **الفصل الرابع: أركان الولاية.**
- **الفصل الخامس: عزل الإمام للقضاة.**
- **الفصل السادس: البحث والتحقيق قبل عزل الوالي أو القاضي.**
- **الفصل السابع: اتخاذ الحجاب من الوالي يؤدى إلى الفساد.**
- **الفصل الثامن: الشرطة.**
- **الفصل التاسع: مصالح الناس.**
- **الفصل العاشر: التوبة بين الخصمين.**
- **الفصل الحادي عشر: يجب على الحاكم الحزر من الهوى.**
- **الفصل الثاني عشر: الرشوة والهدية.**
- **الفصل الثالث عشر: عدم تولية اليهود والنصارى على المسلمين.**
- **الفصل الرابع عشر: خطر الولاية.**
- **الفصل الخامس عشر: العدل والإحسان.**
- **الفصل السادس عشر: المساواة في القصاص.**

الفصل الثاني:

سمات الفكر السياسي عند المسلمين حتي القرن التاسع الهجري

لقد دار في ذهني السؤال الذي طرحه العالم الدكتور محمد ضياء الدين الريس حول النظريات السياسية التي تدرس- وهي نظريات الإغريق والرومان وأمثالهم من المفكرين

---

1) المصدر نفسه – مقدمة المؤلف.

2) الموصلي هو: (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلى شمس الدين، ابن الموصلي- اديب عالم بالفقه، ولد في بعلبك، وتعلم بها وبدمشق وحماه، توفى بطرابلس، من كتبه "بهجة المجالس ورونقة المجالس" خمس مجلدات، توفى سنة 774ه). (أنظر الاعلام – الزركلى – 39/7).

3) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك - الموصلي - ص52

4) المصدر نفسه – مقدمة المؤلف.

الأوربيين: أين مكان الفكر الإسلامي بين هذا الانتاج الإنساني العام؟ ألم يكن في الإسلام مفكرون سياسيون؟ ألم ينتج الإسلام تفكيرا سياسيا؟[1]

هذه الأسئلة إذا أريد لها أن تكون مبنية علي أسس علمية وتعرض في صورة مفصلة واضحة.... عميقة شاملة للتراث الإسلامي الخالد لن تكون الاجابة عنه بالسلب للأسبلب الآتية:

أولا: لأن انتاج الفكر الإسلامي في مختلف نواحي العلوم، كما تشهد بذلك النهضة العلمية الرائعة التي عرفت في العصر العباسي ، والتي لم تكن لها نظير في تواريخ الأمم السابقة لهذا العهد- انتاج حافل- فلا يعقل أو علي الأقل يكون من التصور البعيد، أن يظن أن هذه الناحية المهمة من نواحي الثقافة الإنسانية قد أهملت، ونعني بها الناحية السياسية.

ثانيا : لأن المجتمع الإسلامي في خلال العصور المتعاقبة، قد نجح في إنشاء دول، بل امبراطوريات، بلغت- دون أن تكون هناك خشية المبالغة في القول- من الدقة في أنظمتها وإدارتها وأساليها مالم تبلغه النظم السياسية أو الإدارة التي ألفها العالم قبل وجود هذا المجتمع.[2]

يقول ابن خلدون في تقسيمه للسياسة: سياسة مدنية، وسياسة ملوكية عامة، وتنقسم السياسة العامة إلي سياسة مستندة إلي الشرع المنزل من الله ، وسياسة عقلية مستندة إلي قوانين العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها لا إلي الشرع المنزل"[3].

لقد فكر المسلمون فعلا في السياسة وكونوا لهم نظريات عنها غير أن بحثهم كان تحت اسم آخر، وتكلموا بلغة أصبحت غير مألوفة في العصر الحاضر ، فالنظريات التي وصلوا إليها إما جزءا من مباحث علم الفقه، أو الكلام، أو التاريخ، أو الفلسفة، أو الأدب ويوجد بعضها في تفاسير القرآن، وفي شروح الأحاديث، ولذا فإنه ينبغي لمن يريد أن يفهم هذه الآراء فهما حقيقيا ، ويلم بها إلماما تاما أن يرجع إلي تلك العلوم جميعا. [4]

ومن المميزات العامة للتفكير السياسي الإسلامي أنه:

أولا: نشأ نتيجة للتطور التاريخي.

ثانيا: أنه كان يقصد أن تصاغ عناصره في صيغة قانونية.

ثالثا: وهذه الخاصية تميزه عن التفكير الغربي في كثير من عصوره، أنه كان مرتبطا دائما بالقيم الأخلاقية، لايستطيع أن ينفصل عنها أو يتجاهلها، بل إن هذه القيم كانت هي غاياته الأساسية وجوهر حياته الذي يفقد كيانه إذا افتقده.

رابعا: أنه منذ نشأته رسمت له حدود جعلت تطوره ينتهي إلي غاية لايعدوها.

وقيل: إن الفكر السياسي الإسلامي يتميز عن الأنظمة السياسية الأخري بميزات فريدة ، وسمات مهمة ، ترشحه لقياد البشرية جمعاء مهما اختلفت أجناسها وتنوعت ثقافاتهم ، مما تجعله صالحا للتطبيق والعمل به ع لي اختلاف الأزمنة والأمكنة . فالدولة في الأسلام عقائدية في رابطتها وسياستها، ربانية في مصدرها وأساسها، انسانية في فعاليتها وتكوين جهازها، عالمية في إطارها ، أخلاقية في أهدافها، حضارية في طبيعتها. ومن أبرز هذه السمات:

أولا: أنه رباني المصدر: أهم ما يمتاز به الفكر السياسي الإسلامي عن الأفكار السياسية الأخري أنه نظام رباني ، أسسه وقواعده وأحكامه ليست من وضع بشر يحكمه العجز والقصور والتأثر بمؤثرات الهوي والعواطف، وإنما الذي شرع هذه الأسس والقوانين هورب الناس وخالقهم ، وهو

1) النظريات السياسية الإسلامية دكتور محمد ضياء الدين الريس - مقدمة الكتاب - ص 15.
2) المصدر نفسه - ص 16.
3) مقدمة ابن خلدون - ص341.
4) المصدر السابق - لمحمد ضياء الدين الريس - ص17.

أعلم بما ينفعهم ومايصلحهم، كما(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ)[1] (أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[2] ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم داعية الي التدبر والتفكر منبهة الي اتبا ع المنه ج الإلهي الذي شرعه الله لعباده ، وإذا كان النظام السياسي يتميز بربانية المصدر ، فإنه كذلك يتميز بربانية الوجهة ، أي أن هذا النظام يسعي جاهدا إلي ربط الناس بالله سبحانه حتي يعرفوه حق معرفته ويتقوه حق تقاته، ويحررهم من العبودية لغيره والخضوع لسواه. [3] لهذا حثت آيات القرآن الكريم إلي أن العبادة لاتكون إلا لله، وكانت غاية العبادة تقوي الله.

لقد دعا القرآن الكريم إلي الشوري فقال تعالي (وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) [4]. وقوله تعالى(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩)[5]

ومن خلال استعراضنا للنص القرآني نجد هذه الخاصية أو السمة وهي ربانية المصدر، فقد أمر سبحانه بأن يكون " أمرهم شوري بينهم"كما جاء في الآية الأولي، أما الآية الثانية فقد نزلت بعد موقعة أحد ، وقد شاور النبي (ﷺ) أصحابه قبل الخروج إلي أحد وهي التي أدت إلي هذا الخروج للقاء المشركين في ميدان مكشوف، وكان رأي النبي (ﷺ) التحصن بالمدينة وعدم الخروج منها.

وقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .[6]

ومن هاتين الخاصيتين الشورى والعدل جاءت سمة ربانية المصدر في الفكر السياسي ع ند المسلمين، ومن هنا كان لابد من الاعتماد عليهما دون الاعتماد على سواهما.

أما السمة الثانية فهو يتميز بأنه فكر أخلاقي: إن الفكر السياسي يعتمد في المقام الأول علي الأخلا ق والفضيلة واحترام حقوق الإنسان ، هدفه تحرير الإنسان من العبوديات وخضوعه لله وحده، وإقام ة العدل بين الناس ، ولذلك فإن الهدف الأخلاقي الإنساني مقدم فيها علي الأهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية وكل ذلك يخضع للمقاييس والقيم الأخلاقية.[7]

ولذلك جاءت دعوة القرآن الكريم تحث الناس علي مكارم الأخلاق موجهة إلي رسول الله (ﷺ) فقال تعالي: (وإنك لعلي خلق عظيم) كما وصفت السنة النبوية ذلك فقد قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عندما سئلت عن خلق رسول الله (ﷺ) قالت: كان خلقه القرآن "، وقوله (ﷺ): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فهذه دعوة للناس جميعا لإتمام مكارم الأخلاق.

---

1) سورة الملك آية 14.
2) سورة المائدة آية 50.
3) السياسة الشرعية لصلاح أنور عبد فرحان ص59.
4) سورة الشورى: آية 37-38.
5) سورة آل عمران: آية 59.
6) سورة النحل: آية 90.
7) السياسة الشرعية ص59 بتصرف.

وعلي ذلك بني العصر الأول من تاريخ الإسلام، أي منذ قام الرسول (ﷺ) يدعو إلي ربه حتي انتقاله إلي الرفيق الأعلي؛ وأولى بنا أن نسميه عصر "النبوة" أو "الوحي" ولما له من صفات معينة تميزه عن غيره من العصور، كان الفترة التي تحققت فيها المثل العليا للإسلام بأكمل معانيها خاصة وأن هذه الفترة كانت مرحلة "تأسيس" وعهد بناء ونشاط [1].

ولسنا مع الذين يقولون: إن زعامة الرسول فيهم زعامة دينية لا مدنية ، وكان خضوعهم له خضوع عقيدة وإيمان لاخضوع حكومة وسلطان. [2]

إن الإسلام عند حملة هذا الرأي- كما هو ظاهر النصوص التي مرت- دين عبادة وأخلاق ، وإن هذه حاله لابد وأن يكون الرسول الذي بلغه داعية وعظ وإرشاد، لامؤسس د ولة ولا زعيم أمة. [3]

والحقيقة غير ذلك ، فإن هذا المجتمع السياسي أو الدولة قد بدأ حياته الفعلية وأخذ يؤدي وظائفه، ويحول المبادىء النظرية إلى أعمال، بعد إن استكمل حريته وسيادته، وضم إليه عناصر جديده ووجد له موطئا، على أثر بيعتي "العقبة" بين رسول الله (ﷺ) ووفود المدينة، وما تلاهما من الهجرة. والواقع أن هاتين البيعتين- ولا يماري أحد في حدوثهما- كانتا نقطتا التحول فى حياة الإسلام. [4]

ومن هاتين البيعتين نستنبط الجانب الأخلاقي فى الفكر السياسي عند المسلمين.

أما السمة الثالثة: فإنه فكر عقدي: لكي نبدأ ببيان هذه السمة فلابد أن نبدأ بما بينه الأستاذ محمد المبارك في كتابه الحكم والدولة عن بيان المفاهيم العقائدية التي تنبثق عنها سياسة الدولة الإسلامية التي هي ضامن قوي لتنفيذها وثباتها وبقائها في معزل عن تلاعب الأهواء وهي كما يأتي:

- البشر كلهم علي اختلاف شعوبهم وألوانهم وعلي اختلاف منازلهم الاجتماعية والأعمال التي يقومون بها والمال الذي يملكونه كلهم عباد لله أصلهم، فلا تفاوت بينهم في الكرامة الإنسانية وفيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات فالحاكم والمحكوم متساويان في نظرة الشريعة من جهة الحقوق والواجبات.
- ليس أحد من البشر فردا أو جماعة يستحق أن يخضع له ا لآخرون خضوعا مطلقا غير مقيد، لأن هذه الصفة يستحقها الله خالق الإنسان فاط ر السماوات والأرض وحده دون غيره، فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم، بين الفرد والسلطة، بين المواطنين والدولة علاقة تنظيم.
- الحاكم ليس مشرعا، وإنما هو منفذ لشريعة إلهية تجس دت في كتاب ثابت النص وهو القرآن، وأحاديث نبوية حقق علماء الحديث صحتها وتكون مايسمي بالسنة.
- البشر كلهم في الأصل مستخلفون من الله في هذه الأرض إبتلاء وامتحانا في مقابل تميز الإنسان بما ميزه الله به من مخلوقاته م ن حرية اختيار وإرادة وعلم وقدرة ، فالمسلمون مستخلفون لتقيق رسالة الإسلام في الأرض ، وإنما قامت وتقوم دولتهم لتحقيق هذه الخلافة إسعادا للإنسانية وإرضاء لله.
- الصلة بين البشر في العقيدة الإسلامية صلة أخوة في الأصل وصلة وحدة في الانتساب الي العبودية لله، وصلة كرامة بني آدم المستخلفون في الأرض.

1) النظريات السياسية الإسلامية ص47بتصرف.
2) الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرازق 86.
3) دراسة في الإسلام السياسي لسعدي أبو جيبص34.
4) النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمدضياء الدين الريس ص30.

- الإنسان مخلوق مكرم بحكم الله الذي خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه ومنحه صفات القدرة والعلم والحياة والإرادة، قال تعالي : (وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا).[1] وهو بهذه الصفات- صفة التكريم الإلهي- له حقوق ليس لأحد أن ينتهكها، حتي هو نفسه لاحق له أن يهدرها أو يتنازل عنها . ثم عقب الدكتور المبارك عليها قائلا : إن هذه الأسس الاعتقادية تجعل من نشاط المسلم السياسي رسالة يقوم بها وأمانة استأم نه الله عليها ليؤديها حق أدائها، سواء أكان راعيا أم رعية، وحاكما سوس الأمور فردا من الشعب ينفذ هذه السياسة ومتطلباتها في شتي أحواله السلمية والحربية والمعاشية.[2]

أما السمة الرابعة : فهو فكر كامل شامل عا لمي: يمتاز الفكر السياسي الإسلامي بالكمال والشمول وأنه عالمي.

فتميزه بالكمال يدل عليه قوله تعالي: ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ٣ .[3]

فكمال الدين يدل علي كمال الفكر وشموله للفرد والمجتمع في جميع علاقاته المدنية والتجارية والحربية وغير ذلك.

وتميزه بأنه عالمي يدل عليه قوله: (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ) .[4]

ومعني ذلك أن الرسول (ﷺ) أرسل للناس جميعا ، وقوله تعالي (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ .[5] وقوله تعالي:(إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ) [6].

فدل ذلك علي عالمية الفكر السياسي وأنه شامل كامل يقوم علي مباديء عدة أهمها : الوحدة، والمساواة، والشوري، والعدل، والحرية.

كل هذه الأحكام تنطبق علي المجتمع الإسلامي ، وذلك منذ نشأته فى عهد رسول الله (ﷺ) إلي السنوات الأخيرة من خلافة عثمان (رضي الله عنه) ففى هذه المدة التي بلغت نحو ثلاثين عاما ، من السنة الأولي للهجرة- وقد كانت هي السنة الأولي من حياة الدولة- إذ أن الهجرة كانت مبدأ قيام النظام الجديد، منذ ذلك التاريخ إلي السنة الثلاثين في أواسط خلافة الخليفة الثالث ، تغيرت العناصر التي كانت تكون المجتمع وحدث تطور لم يشهد له التاريخ مثيلا، وهو أن سلطان المدينة اتسع من حدود هذه المدينة المحصورة حتي شمل جزيرة العرب كلها، وممالك العراق، والشام، ومصر، وأفريقية، وأرمينية، وبلاد فارس ، وبعض جزر البحر المتوسط . وأدت هذه الفتوحات إلي تحول الحكومة الإسلامية من دولة مدنية إلي دولة عالمية،[7]علي ماستكشفه الفصول القادمة.

---

1) سورة الإسراء آية 70.
2) الحكم والدولة للأستاذ محمد المبارك 27.
3) سورة المائدة: آية 3.
4) سورة الأعراف: آية 158.
5) سورة الأنبياء: آية 107.
6) سورة ص: آية 87.
7) النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص48-49بتصرف

الفصل الثالث:

ملامح الفكر السياسي في الإسلام

المبحث الأول: ملامح الفكر السياسي في عهد النبوة

أقام الرسول (ﷺ) دولة الإيمان في القلوب، ودولة السياسة في واقع الحياة، من خلال منظومةٍ متكاملة تتحرَّك على الأرض، وتسيِّر أمور الناس، وتحدِّد كافة الأسس والعَلاقات التي تربط وجودهم بما حولهم.؛ فللمتابع لسيرة المصطفى (ﷺ) يجد أن كلَّ خطوة عملية قام بها النبي المصطفى (ﷺ) في المدينة مثَّلت قرارا سياسيا أسَّسَ لبناء دولة المؤسسات الحقيقية.

ويأتي هذا المبحث كمحاولة لاستقراء معالم الفكر السياسي النبوي المتكامل الذي أقامه النبي (ﷺ) وصحابته الكرام في المدينة المنورة ؛ على أنه لابد - بين يدي ذلك - من التعريج على مرحلة مكة المكرمة إذ تعد هي المرحلة التمهيدية للدولة الإسلامية في المدينة.

العهد المكي (الفترة التمهيدية للدولة الإسلامية):

الدولة الإسلامية في عهد النبوة في عهدها المكي والمدني هي امتداد لدعوة الأنبياء والرسل في منهجهم ودعوتهم إلى عبودية الله (ﷻ) في جميع مناحي الحياة.

فدعوة الأنبياء والرسل أتت لتخرج الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، وجَعْل منهج الحياة في جميع مجالاته خاضعًا لحكم الله تعالى.

ومن هذه المجالات المجال السياسي ، وقد اتضح لقريش هذا الجانب عندما دعاهم خاتم الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام إلى لا إله إلا الله ، أي أن تكون العبودية لله تعالى وحده.فالجانب السياسي في دعوة النبي (ﷺ) واضح لقريش وغيرهم ممن سمع بدعوة النبي (ﷺ).

بل حقيقة هذا الأمر واضحة منذ أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي ، فعندما ذهبت خديجة رضي الله عنها مع الرسول (ﷺ) إلى ورقة بن نوفل - وقد تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الإنجيل، وهو شيخ كبير قد عمي - ، فأخبره رسولُ الله (ﷺ) خَبَرَ ما رأى ، فقال له ورقة : (هذا النَّاموس الذي نزَّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعًا ، ليتني أكون حيًّا إذ يُخْرِجُك قومك فقال رسول الله (ﷺ): "أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي..)[1].

فقوله: "لم يأت رجل قط بمثل ما جِئْتَ به إلا عُودي"؛ لأنه يأتي بمنهج للحياة، ونظام يخالف ما عليه الجاهلية في جانبها العقدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي.

بل إن هرقل عظيم الروم سأل أبا سفيان – قبل أن يسلم أبو سفيان – عن الرسول (ﷺ) وعن حقيقة دينه ودعوته فقال هرقل – بعد سماعه لقول أبي سفيان - : (فإن كان ما تقول ... فسيملك موضع قدميّ هاتين)[2].

وقول هرقل هو نتيجة فهمه لطبيعة هذا الدين ودين الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين، فهذا الدين أتى ليقيم الحياة والدولة وفق منهج الإسلام.

---

1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ)، حديث رقم (3).

2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ)، حديث رقم (7).

قال الله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ)[1]

فمنهج الإسلام السياسي كان واضحًا منذ بداية الوحي، وكل من سمع بهذا الدين يعلم حقيقته وخاصة من آمن به، ولذا كان العداء من قريش وغيرهم من قبائل العرب لهذا الدين؛ لأنه يأتي بنظام يسقط سائر الأنظمة الجاهلية المخالفة له ، وليس بمستغ رب بعد ذلك أن تنكر قريش توحيد الألوهية وتعترف بتوحيد الربوبية فحسب.

والاتجاه السياسي في العهدين المكي والمدني يجب أن يُفرَّق فيه بين وجود الدولة الإسلامية ككيان مادي عندما هاجر الرسول (ﷺ) إلى المدينة وبين وجود المنهج السياسي الإسلامي الذي صاحب هذه الدعوة من بعثة الرسول (ﷺ)، وكذلك يُفَرَّق بين نزول بعض التشريعات في الإسلام عندما قامت الدولة الإسلامية في المدينة وبين وجود أصول ومبادئ ومنطلقات النظام السياسي في عهده المكي.

ولهذا نجد معظم سور القرآن الكريم بقسميها المكي والمدني تعالج قضية الحاكمية وتبيُّنها وهي أساس النظام السياسي في الإسلام.

ومن مقاصد القرآن ربط التشريعات والأحكام والأوامر والمناهج بالعقيدة، وتنشئة الأمة على هدى الوحي فهو دستورها ومنهجها.

ولذا يقال: إن العهد المكي لم تكن فيه دولة – من حيث الكيان المادي – بمفهومها الذي وقع في المدينة، ويمكن اعتبلو ما حصل من أعمال سياسية في العهد المكي مُقدِّمات قيام الدولة التي قامت بالفعل بمعالمها الحقيقية السيادية في العهد المدني كما سيأتي ذكر ذلك -إن شاء الله تعالى-.

ويمكن الإشارة إلى بعض الأعمال التي قام بها النبي (ﷺ) ذات الدلالة السياسية في العهد المكي، وتتمثل في:

1 – الأمر بالهجرة إلى الحبشة:

كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب سنة خمس من البعثة [2]. وهذه الهجرة [3] لم تكن إلا إجراءً مؤقتًا قُصد به حماية الأفراد المسلمين من أذى قريش وبغيها الذي لم يكن رسول الله (ﷺ) قادرًا – في تلك الفترة - على منعه[4].

2- عرض رسول الله (ﷺ) نفسه على القبائل

وهذا العمل يُعدُّ من أبرز الأعمال في العهد المكي، وهو محاولة لتوسيع نطاق الدعوة وإيجاد ملاذٍ آمنٍ لها.

روى سالم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله (ﷺ) يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال : "أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِه، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي"[1].

---

1) سورة الشوري: آية 13.
1) السيرة النبوية لابن هشام (321/1 – 322)، والهجرة إلى الحبشة هجرتان وليست هجرة واحدة؛ فإن بعض المسلمين ممن هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة رجعوا ظنّا منهم أن المشركين أسلموا، فلما ظهر لهم خلاف ذلك هاجروا الهجرة الثانية . أنظر تفصيل ذلك في "فتح الباري" لابن حجر (204/7)، والموضع السابق من سيرة ابن هشام.
2) انظر: في النظام السياسي للعوا ص(41).
3) وقد حاول بعض من كتب في النظام السياسي الإسلامي ذكر أهداف أخرى من هجرة المسلمين إلى الحبشة ، مثل: الفرار من ا لفتنة، وشرح قضية الإسلام، وموقف قريش منه ، وإقناع الرأي العام بعدالة قضية المسلمين على نحو ما تفعله الدول الحديثة من تحرّك سياسي يشرح قضاياها، وكسب الرأي العام إلى جوارها، وغير ذلك. انظر: النظام السياسي في الإسلام، د . عبد القادر أبو فارس ص (134)، فقه السيرة النبوية، منير غضبان ص(234 – 252).

وهذا العمل من النبي (ﷺ) - وهو عرض نفسه على القبائل – يعد صورة واضحة تؤكد بحثه (ﷺ) عن مكان آمن في أرض العرب حتى يؤدي رسالةَ ربِّه، بل إنَّ طلب النُّصرة والمنعة من القبائل تُعدُّ محاولة منه (ﷺ) لإيجاد منطلقات آمنة للدعوة الإسلامية ومن أهم هذه المنطلقات – كما تقدم – إيجاد الأرض، أو ما يُعرف بالتعبير السياسي المعاصر:"المحيط الإقليمي " الذي يكون السلطان السياسي فيه للمسلمين ، ويقيمون عليه دولتهم فيتفرغوا إلى الدعوة لد ينهم والجهاد في سبيله[2].

3- بيعتا العقبة الأولى والثانية[3]:

وهاتان البيعتان ما هما إلا نتيجة أو ثمرة من ثمار العمل السابق "عرض الرسول (ﷺ) نفسه على القبائل".

إن هاتين البيعتين كانتا أساس قيام الدولة الإسلامية في المدينة والبذرة الأولى لها، وبالأخص بيعة العقبة الثانية، التي بايع فيها رسول الله (ﷺ) الأنصار على الإيمان بالله ورسوله والطاعة في المعروف، وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم.

4 – الهجرة إلى المدينة:

كان الأمر بالهجرة إلى المدينة نتيجة وثمرة للعمل السابق (بيعتي العقبة الأولى و الثانية) التي تحددت فيها أرض الدولة الإسلامية.

ومما ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي (ﷺ) قال: "رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهْلِي[4] إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَر فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ"[5].

كانت هجرة النبي (ﷺ) من مكة إلى المدينة مبدأ الفترة الثانية من عهد النبوة، والتي عُرفت بالعهد المدني، فقد تكونت بهذه الهجرة الدولة الإسلامية وأصبح لها كيان دولي، ومست الحاجة إلى التشريع العملي على أتم صوره، وعلى ذلك فالفترة المكية كانت بم ثابة المرحلة التمهيدية للفترة المدنية بل والتأسيس لها – على ما تم إيضاحه - فقد تكوّنت في الفترة المكية نواة المجتمع الإسلامي من أولئك الأفراد القلائل وتقررت فيهم قواعد الإسلام الأساسية، أمَّا في الفترة الثانية – وهي الفترة المدنية – فقد فُصِّل ما أُجْمِل م ن قواعد الإسلام في الفترة الأولى ونزلت التشريعات التي احتاجت إليها الدولة الإسلامية الجديدة في الشؤون العامّة والخاصة على حَدٍّ سواء.

وهذا الاتصال بين الفترة المكية والمدنية واضح لكل من تتبع مسيرة الدعوة الإسلامية وتطورها في عصر النبوة[6].

العهد المدني(قيام الدولة)

كان العصر النبوي بقسميه مرحلة تأسيس وبناء لكيان الأمة الإسلامية ووضع الأسس العامة التي سوف تحكم مسيرة هذه الأمة على طول التاريخ[7].

لقد قامت الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء، في إدارتها وسياستها وحربها وسلمها وصِلاتها بالأفراد والجماعات.

---

4) أخرجه أحمد في المسند (390/3)، وأبو داود في "السنن" كتاب السنة، باب في القرآن، برقم (4734)، والترمذي في "جامعه" في ثواب القرآن، باب حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن، برقم (2925)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

1) في النظام السياسي للعوا ص(42 – 43).

2) انظر صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة.

3) أي: ذهب وَهْمُه إليه. انظر النهاية لابن الأثير (233/5).

4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

5) انظر: النظام السياسي للدكتور سليم العوا ص(44). وقد ردّ المؤلِّف على بعض المستشرقين الزّاعمين أن كل الذي جَدَّ في المدينة هو فقط أن المجتمع المسلم تحوّل من النظرية إلى التطبيق، أو أنه تحوَّل من دين مُسالِم ومُوادِع إلى دين يأمر بالجهاد وشنّ الحروب!

1) في النظام السياسي للعوا ص(45).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان رسول الله (ﷺ) في مدينته النبوية يتولى جميع ما يتعلق بولاة الأمور، ويولِّ في الأماكن البعيدة عنه كما ولّى على مكة عَتَّاب بن أسيد وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وكذلك كان يؤمِّر على السرايا ويبعث على الأموال الزّك وية السُّعاة ، فيأخذونها ممن هي عليه ويدفعونها إلى مستحقيها الذين سماهم الله في القرآن .. وكان النبي (ﷺ) يستوفي الحساب على العمال ويحاسبهم على المستخرج والمصروف..."[1].

ويمكن ذكر أهم الأعمال التي قام بها النبي (ﷺ) حين قدومه المدينة على النحو التالي:

1- بناء المسجد:

يظهر من الروايات الصحيحة[2] أن النبي (ﷺ) أسس أولاً مسجد قباء وكان يُصلّي فيه، ثم أَتَمَّ بناءَه بنو عمرو بن عوف، قال ابن حجر عن مسجد قباء : "وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي (ﷺ) فيه بأصحابه جماعةً ظاهرًا، وأول مسجد بُني لجماعة المسلمين عامة "[3]، ثم بنى بعد ذلك مسجده (ﷺ) المعروف الآن بالمسجد النبوي.

أهمية بناء المسجد: لا شكَّ أن هناك دلالات عدة لبناء المسجد، حيث كان ذلك العمل أول عمل قام به النبي (ﷺ).

فالمسجد[4] هو عنوان هذه الأمة، وهو الذي يُمثِّل رمز انتصاراتها . فلقد أمضى المسلمون في مكة ثلاث عشرة سنة يعبدون الله على خوف ووجل، ويُضطهدون إن أعلنوا شعائرهم، ويُؤذَون إن صَلّوا وجهروا بصلاتهم وقرآنهم، وكان أول ركن ظاهر تقوم دولة الإسلام عليه ومن أجله هو الصلاة.

فكان قيام المسجد النبوي وإعلان التوحيد في المدينة هو إعلان قيام دولة الإسلام.

2- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

إن تجانس شعب أي دولة من الدول من العوامل المهمة في الاستقرار السياسي للدولة ، وكان من مِنة الله على رسوله (ﷺ) أن ألَّف بين قلوب المسلمين.

ومن نماذج تلك المؤاخاة أنه (ﷺ) آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء[5].

وتقدَّم أن المؤاخاة كانت بين المهاجرين والأنصار، وكانت أيضًا بين الأوس والخزرج من الأنصار. وفي بيان حكمة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار يقول السُّهيلي: "آخى رسول الله (ﷺ) بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويُؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويَشُدُّ أزْر بعضهم ببعض"[6].

3 - صحيفة المدينة(وثيقة المدينة أو دستور المدينة):

فور هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة المنورة كتب دستورًا تاريخيًا بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه يهود وعاهدهم، وشرط لهم واشترط عليهم.

إن هذا الدستور يهدف بالأساس إلى تنظيم العلاقة بين جميع طوائف وجماعات المدينة، وعلى رأسها المهاجرين والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم، يتصدى بمقتضاه المسلمون واليهود وجميع الفصائل لأي عدوان خارجي على المدينة.

---

2) مجموع الفتاوى (81/28).
3) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة برقم (3906).
4) فتح الباري (288/7).
5) انظر: فقه السيرة النبوية، منير غضبان ص(356).
1) انظر: تفاصيل تلك المؤاخاة في السيرة لابن هشام (504/1 – 507).
2) الروض الأنف (350/2).

وبإبرام هذا الدستور – وإقرار جميع الفصائل بما فيه- صارت المدينة دولة وفاقية رئيسها الرسول (ﷺ)، وصارت المرجعية العليا للشريعة الإسلامية، وصارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، والمساواة والعدل.

تقول الوثيقة (الدستور):"هذا كتابٌ من محمد النبي رسولِ الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومَن تبعهم ولَحِق بهم وجاهَد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدون عانيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوفٍ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلُّ طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث بن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم يتعاقلون معاقلهم الأ ولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجَّار يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحًا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل مَن بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين، وأن أيديَهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وأنه من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يُسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضًا، وأن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يُجِير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه مَن اعتبط مؤمنًا قتلاً عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى وليُّ المقتول بالعقل، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا القيام عليه.

وأنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدِثًا أو يؤيَه، وأن مَن نصره أو آواه، فإن عليه لعنةَ الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتُم في شيء، فإن مَرَدَّه إلى الله وإلى محمد.

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا مَن ظلم وأَثِم، فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه وأهل بيته.

وأن ليهودِ بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا مَن ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إ لا نفسه وأهل بيته، وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحدٌ إلا بإذن محمد، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه مَن فتك فبنفسه وأهل بينه، إلا مَن ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

وأنه لا يأثم امرؤ بحليفِه، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود يُنفِقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجَارَ كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تُجَارُ حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مَرَدَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله (ﷺ) وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا تجار قريش ولا مَن نصرها، وأن بينهم النصر على مَن دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا مَن حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلهم.

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يَحُول هذا الكتاب دون ظلم ظالم أو آثم، وأنه مَن خرج آمنٌ ومن قعَد آمن بالمدينة، إلا مَن ظلم وإثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمدٌ رسول الله (ﷺ)"[1].

هذا الدستور العبقري العادل الشامل يؤسِّس للغة القانون ومنطق التعايش السلمي الذي تحتاجه دولة مدنية حديثة ناشئة، على غير تقاليد الجاهلية.

ويمكن استخلاص أبرز جوانب الفكر السياسي في هذه الوثيقة فيما يأتي:

1. الأمة الإسلامية فوق القبلية.
2. التكافل الاجتماعي بين فصائل الشعب.
3. ردع الخائنين للعهود.
4. احترام أمان المسلم.
5. حماية أهل الذمة والأقليات غير الإسلامية.
6. الأمن الاجتماعي وضمان الديات.
7. المرجعية في الحكم إلى الشريعة الإسلامية.
8. حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر مكفولة لكل فصائل الشعب.
9. الدعم المالي للدفاع عن الدولة مسؤولية الجميع.
10. الاستقلال المالي لكل طائفة.
11. وجوب الدفاع المشترك ضد أي عدوان.
12. النصح والبر بين المسلمين وأهل الكتاب.
13. وجوب نصرة المظلوم.
14. حق الأمن مكفول لكل مواطن.

المعالم السياسية للدولة الإسلامية داخليا وخارجيا

تكوَّنت الدولة الإسلامية وأخذت تباشر مهامها التي شملت كل نواحي النشاط السياسي المعروفة آنذاك في مجالاتها المختلفة[2] وكان رسول الله (ﷺ) يتولى تلك المهام بنفسه أو بواسطة قواد سراياه وبعوثه، ونُظِّمت موارد الدولة المالية بتنظيم الزكاة وطرق جبايتها، وعقدت المعاهدات، وأُنفذت السفارات إلى العالم الخارجي، فتكونت بذلك أسس العلاقات الدولية للدولة الإسلامية .[3]. ويمكن تناول المعالم السياسية للدولة الإسلامية داخليا وخارجيا من خلال هذه المحاور:

---

1) السيرة النبوية لابن كثير : 2/ 321، والسيرة النبوية لابن هشام (501/1)، ومسند الإمام أحمد (204/2) و(125/11)، والسنن الكبرى للبيهقي (106/8).

1) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية المتقدم ذكره في بداية الحديث ع ن العهد المدني عند الحديث عن المهام التي كان يباشرها النبي ﷺ.

2) انظر: النظام السياسي، د. محمد سليم العوا ص(59) وما بعدها، وانظر: التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني، نقلاً من المرجع السابق للعوا.

أولا: بعض التشريعات السياسية للدولة الإسلامية[1]:

بدأت الدولة الإسلامية تتخذ طابعها، وتتشكل تشريعاتها السياسية في شؤونها الداخلية ، وعلاقاتها الخارجية.

صاحب السلطة فيها رسول الله (ﷺ)[2]، وصحابته رضي الله عنهم هم أعوانه ووزراؤه . شؤونهم الداخلية والخارجية تحكمها الشريعة الإسلامية، ومنهم الرضا والتسليم، قد وصفهم ربهم (ﷻ) بقوله:(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ).[3]

وجاء الشرع بما ينظم شؤون الإنسان في كل المجالات، ومن ذلك ما يتعلق بالسياسة في كل مجالاتها الداخلية والخارجية، يحدد العلاقة بين الراعي والرعية، وبين أفراد الرعية مع بعضهم . يحدد لكل مسئولياته ويعرِّفه بواجباته، فجاءت النصوص الشرعية من الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة، ببيان هذه السياسة، ومنها على سبيل المثال: قوله تعالى: وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ .[4] بيان لطبيعة السلطة في الإسلام.

وقوله تعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ).[5] بيان نوع من العلاقة الخارجية.

وقوله: (وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).[6]

حدود شرعية لحفظ النفس والمال، من بين حدود كثيرة، في إطار تحقيق الأمن الداخلي للمجتمع.

وقول الرسول (ﷺ): "أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..." [7] إشعار للراعي بمسئولية الرعاية.

وقوله: "عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ"[8]. إيجاب طاعة الراعي على الرعية، وبيان لحدود هذه الطاعة. الطاعة.

وقوله: "لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا[9] وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا[10]، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا .الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ"[11] تنظيم لعلاقات أفراد المجتمع فيما بينهم، فيما يكفل مصلحة الجميع.

إلى غير ذلك من النصوص والضوابط الشرعية، التي تشكل النظام السياسي في الإ سلام، والذي يحقق سلامة البلاد، وراحة العباد.

---

3) هذا المبحث مستفاد من كتاب "النظام السياسي في الإسلام" د. سليمان العيد بتصرف.

4) وفي هذا أيضًا رد على من يرى أن محمدًا (ﷺ) ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك= ولا دعوة لدولة. وعلى رأس هؤلاء علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم). انظر الهامش السابق، وانظر "الإمامة العظمى للدم يجي ص(70) وما بعدها، و "نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي " ظافر القاسمي ص(45) وما بعدها.

3) سورة النور: آية 51.

4) سورة الشورى: آية 38.

5) سورة التوبة: آية 123.

6) سورة البقرة: آية 179.

3) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن برقم (892)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل برقم (1829). واللفظ لمسلم.

4) أخرجه مسلم في الموضع السابق من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

5) النَّجْش: أن تزيد في البيع ليقع غيرك، وليس من حاجتك. (الجوهري، الصحاح 1021/3) مادة(نجش).

6) تدابر القوم أي: تقاطعوا. (الجوهري، الصحاح 655/2) مادة (دبر).

7) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ)، كتاب البر والصلة (1986/4).

ثانيا: ملامح السياسة الداخلية للدولة الإسلامية

لقد كان رسول الله (ﷺ) يستمد سياسته الداخلية لهذه الدولة الإسلامية من وحي الله (ﷻ)[1]، ومن ومن الصعب في هذا الموجز الإحاطة بجوانب السياسة الداخلية لهذه الدولة في عهد رس ول الله (ﷺ)، وتنظيمها، ولكن يمكن الإشارة إلى شيء من هذه السياسة وهذا التنظيم الذي كان يقوم به النبي (ﷺ):

1. كان (ﷺ) يقوم بمهمة البلاغ، فكان يتلقَّى الوحي ويبلّغه للناس، وكان يدعو الناس للإسلام مع الحرص على التأليف بينهم وتحذيرهم من الشرك، وكان يتولى الفصل في المنازعات، وتعيين الولاة، وجمع الأموال الزكوية ونحوها وإنفاقها في مصارفها[2].
2. وكان (ﷺ) يستشير أصحابه فيما يستجد له من الأمور، فقد ثبتت مشاورته لهم في أمور كثيرة، وليست المشاورة قاصرة على أمور الحرب أو الجانب العسكري.
3. وكان (ﷺ) يستخلف على المدينة حين غيابه، أو يُؤمِّر على البعوث والسرايا ونحوها.
4. أنه (ﷺ) حَرِص على توزيع مهام الدولة توزيعًا دقيقًا، فكان هناك صاحب السرِّ ، وكان هناك الكُتَّاب (كُتَّاب الوحي ، وكُتَّاب الرسائل ، وكُتَّاب العهود والصلح والمواثيق)، وكان هناك صاحب الختم، وغير ذلك.
5. أنه (ﷺ) جعل مسؤولية حماية البلد على كل قادر من أفراد الرَّعية، فلم يكن هناك جيش محدد، بل كان (ﷺ) ينادي الناس بالجهاد، ثم يختار منهم من يصلح لذلك مع اعتنائه الكامل باختيار من يراه الأصلح لخوض غمار هذه الحروب والمهام العسكرية.

ثالثا: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية

تتمثل العلاقة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد الرسول (ﷺ) مع غيرها بمظاهر منها:

1- الدعوة والجهاد:

كانت العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية مع غيرها من الدول مبنية على أساس الدعوة إلى الله (ﷻ)، ولم يكن من سياسة الدولة الإسلامية اللجوء إلى الحرب إلا بعد عدة مراحل[3].

وكان من السياسة القتالية الإسلامية تحقيق الهدف بأدنى حد من الخسائر حتى في صفوف العدو[4]، بالنهي عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، وعدم قطع الأشجار، ويدل على ذلك أن رسول الله (ﷺ) إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال : "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا ولا تَقْتُلُوا وليدًا..."[5].

2- الرسل والرسائل:

ومن العلاقات الخارجية ما كان يبعث به رسول الله (ﷺ) مع بع ض صحابته من الرسائل الدعوية إلى الملوك وغيرهم، ومنها ما يلي:

كتابه إلى هرقل (عظيم الروم)، الذي أرسل به دحية بن خليفة الكلبي (رضي الله عنه).
وكتابه إلى كسرى (عظيم فارس)، الذي أرسل به عبد الله بن حذافة السهمي.
وكتابه إلى النَّجاشي[6] ملك الحبشة، الذي أرسل به عمرو بن أمية الضمري.

---

8) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية المتقدم ذكره في: بداية الحديث عن العهد المدني في بيان ما كان يقوم به النبي(ﷺ).
1) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية المتقدم ذكره في: بداية الحديث عن العهد المدني، ص(37).
2) سيأتي تفصيل ذلك في مبحث العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية.
3) يقول آرنولد: "والتاريخ ما عرف فاتحًا أرحم من العرب". انظر كتابه "الدعوة إلى الإسلام" نقلاً من كتاب "الحياة السياسية عند العرب" لمحمد الناصر ص(307).
4) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار، حديث رقم(1730).
1) وهو غير النجاشي الذي صلّى عليه النبي (ﷺ) صلاة الغائب والذي كان اسمه "أصْحَمَة"، بل هو نجاشي آخر لم يُسلم . وهذا اللقب "النجاشي" لقب في لغة الحبشة آنذاك ، يطلق على من تولّى الملك . انظر "صحيح مسلم" كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي (ﷺ) إلى ملوك الكفار ، حديث رقم(1774)، و"زاد المعاد" لابن القيم (120/1)، وفتح الباري "لابن حجر" (240/3 – 241).

وكتابه إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية، الذي أرسل به حاطب بن أبي بلتعة، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التي بعث بها رسول الله (ﷺ) إلى الملوك وغيرهم ، والهدف منها دعوتهم إلى الله (سبحانه وتعالى) [1].

3- العهود والمواثيق:

العهود والمواثيق نوع من العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية مع غيرها ، ومن ذلك صلح الحديبية[2] الذي أجراه رسول الله (ﷺ) مع كفار قريش، الذي سماه الله (سبحانه وتعالى) فتحًا، كما في قوله :(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحا مُّبِينا).[3] ، وصلح الحديبية كانت له شروط معروفة ونتائج وثمار ترتبت على هذا الصلح[4].

المبحث الثاني:

ملامح الفكر السياسي في فترة الخلافة الراشدة

أولا- ملامح الفكر السياسي في خلافة أبي بكر الصديق

بينَّا في المبحث السابق أهم الملامح التي يتميز بها عصر النبوة من الناحية السياسية، وألقينا الضوء على المزايا السياسية التي كان يتمتع بها، فوضح لنا ما كان يتبعه في شأن قيادة المسلمين .

فلقد أحسن (ﷺ) ربط نظامه السياسي، وطالما كانت صورة الحكم التي وضعها باقية في عهد الخلفاء الراشدين؛ مع اختلاف الأحداث والمستجدات والاجتهادات.

ويمكن تناول أهم ملامح الفكر السياسي في فترة الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) من خلال ما يأتي:

المطلب الأول:

أسس البيعة وأهم ملامح الفكر السياسي فيها

كان خبر انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى فجيعة كبرى اشتدت وطأتها على نفوس المسلمين وأصابتهم بالذهول حتى إن عمر بن الخطاب نفسه لم يصدق لأول وهلة ووقف يهدد الناقلين للخبر ويتوعدهم. ومن ملامح صورة المسلمين التي تثير انتباه الباحث، تلك التي تنقلها لنا السيدة عائشة في وصفها لحال المسلمين، فتقول : "أخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد الغد وخلط آخرون ولاثوا الكلام بغير بيان". ولم يقف المسلمون على الحقيقة إلا بالقول المأثور لأبي بكر الذي أعلنه مدويًا فأصاب الحقيقة: "من كان منكم يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت"، وقد اعتبر أهل السنة هذه الصيحة من مآثر أبي بكر التي انفرد لها لأنه أدخل السكينة على قلوب المسلمين في هذا الموقف العصيب وتنبه إلى الحقيقة قبل غيره من الصحابة. وقد تلقف الناس الآية التي تلاها أبو بكر مرددين لها لكي تدخل الطمأنينة على نفوسهم في قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ) [5] [6].

---

2) انظر نصوص هذه الكتب وغيرها عند ابن القيم، زاد المعاد (688/3) وما بعدها.
3) كانت الحديبية في آخر سنة ست من الهجرة. انظر السيرة النبوية لابن هشام (316/3).
4) سورة الفتح: آية 1.
5) انظر: المسند للإمام أحمد (323/4)، والبخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم(2731، 2732)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية برقم (1783)، وابن هشام، السيرة النبوية (317/2، 318)، وابن كثير، البداية والنهاية (164/4) وما بعدها.
5) سورة آل عمران: آية 144.
2) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية، 134/3.

ثم ظهرت الحاجة إلى البحث فيمن يلي الأمر بعد الرسول (ﷺ)، وهرع المسلمون دون إبطاء إلى اجتماع السقيفة للتشاور والنظر.

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة أول ما اجتمعوا حيث طلب سعد بن عبادة الأمر لنفسه، وسرعان ما لحقهم المهاجرون إلى هذا الاجتماع ودارت المناقشات بينهما على من له الحق في تولي الخلافة بعد الرسول (ﷺ). وكانت نظرية الأنصار كما وردت على لسان سعد بن عبادة أن لهم سابقة في الجهاد ورفعة شأن الدين والدفاع عن الرسول (ﷺ)، بينما عجز المهاجرون من وجهة نظرهم عن منع الإيذاء عنه وقصروا في نصرته وهو منهم ونشأ بينهم.

أما رد المهاجرين فكان على لسان أبي بكر حيث دافع عنهم من حيث إنهم أول من صدق رسول الله (ﷺ)، وصبر معه على الشدة والبلاء، مع اعترافه بفضل الأنصار لما قاموا به من دور مهم في نصر الدعوة الإسلامية وحماية صاحبها صلوات الله عليه . وقال أبو بكر :"نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور". أما خطاب عمر بن الخطاب فكان أشد لهجة، حيث أصر على أنه لا ينبغي أن يتولى الأمر أحد من غير المهاجرين.

فلما رأى أبو بكر احتداد المناقشات وظهور الخلاف سافرًا، قام طالبًا قيام المسلمين للاختيار بين عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة بن الجراح. وكما كان له الفضل قبل ذلك في إدخال الطمأنينة على قلوب المسلمين حينما أكد وفاة الرسول (ﷺ) فقد ظهر فضله للمرة الثانية في حسم الخلاف بين المهاجرين والأنصار. ولكن قام الاثنان - عمر وأبو عبيدة - طالبين من أبي بكر أن يبسط يده ليبايعانه لأنه أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار وخليفة رسول الله (ﷺ) على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين . فتابعهما قيس بن سعد - من الأنصار- ليبايع أبا بكر فكان أولهم، فقبل الأنصار مشورته وتتابعوا عن طيب خاطر للمبايعة، وكانت دعامة موقفه ما قاله لهم : كرهت أن أنازع قومًا حقا جعله الله لهم[1].

هذه هي ملامح اجتماع السقيفة التي تكاد المصادر تتفق في إيراد تفاصيلها . ومن المهم أن نعرض الملاحظات التي نستطيع أن نستقيها من اجتماع السقيفة، وتتمثل فيما يأتي:

أولا: أنه أول اختلاف يحدث بين المسلمين عقب انتقال الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، فهو كما يصفه الإمام أبو الحسن الأشعري بأنه (أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم (ﷺ) اختلافهم في الإمامة)[2] ولكن الاختلاف هنا كان سياسيًا محضًا وليس دينيًا، ولم يتسع لأكثر مما حدث وبيناه آنفًا إذ سرعان ما عاد عامل الدين بسلطانه القوى فأدى دوره في تهدئة النفوس والمبايعة لأبي بكر.

ثانيًا: تمت البيعة لأبي بكر بالإجماع؛ إقرارا من الصحابة _رضي الله عنهم_ بأفضلية أبي بكر الصديق وسبقه إلى الإسلام وبلائه الحسن مع النبي (ﷺ). يقول الإمام أبو بكر الباقلاني في معرض ذكره للإجماع على خلافة الصديق (رضي الله عنه): (وكان (رضي الله عنه) مفروض الطاعة لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته وانقيادهم له حتى قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مجيباً لقوله (رضي الله عنه) لما قال: أقيلوني فلست بخيركم، فقال: لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله (ﷺ) لديننا ألا نرضاك لدنيانا يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره واستنابته في إمارة الحج فأمرك علينا وكان (رضي الله عنه) أفضل الأمة وأرجحهم إيمانًا وأكملهم فهمًا وأوفرهم علمًا)[3].

وقد رد الإمام البيهقي على مزاعم الشيعة وافتراءاتهم القائلة بأن عليا بن أبي طالب (رضي الله عنه) بايع أبا بكر ظاهرًا ولم يرتضه باطنا ؛ إذ يقول رحمه الله بعد ذكره روايات عدة في مبايعة

1) انظر: النظريات السياسية الإسلامية، الدكتور الريس، ص 25.
2) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، 31/1.
3) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني، ص 65.

الصحابة جميعا بالخلافة لأبي بكر (رضي الله عنه): (وقد صح بما ذكرنا اجتماعهم على مبايعته مع علي بن أبي طالب فلا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن علي أو غيره بخلاف ظاهره ، فقد كان عليّ أكبر محلا وأجل قدراً من أن يقدم على هذا الأمر العظيم بغير حق أو يظهر للناس خلاف ما في ضميره ولو جاز هذا في اجتماعهم على خلافة أبي بكر لم يصح إجماع قط والإجماع أحد حجج الشريعة ولا يجوز تعطيله بالتوهم. والذي روى أن علياً لم يبايع أبا بكر ستة أشهر ليس من قول عائشة إنما هو من قول الزهري فأدرجه بعض الرواة في الحديث عن عائشة في قصة فاطمة رضي الله عنهم وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصلا وجعله من قول الزهري منقطعاً من الحديث . وقد روينا في الحديث الموصول عن أبي سعيد الخدري ومن تابعه من المغازي أن علياً بايعه في البيعة العامة بعد البيعة التي جرت في السقيفة، ثم شجر بين فاطمة وأبي بكر كلام بسبب الميراث إذ لم تسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في باب الميراث ما سمعه أبو بكر وغيره فكانت معذورة فيما طلبته وكان أبو بكر معذوراً فيما منع فتخلف علي عن حضور أبي بكر حتى توفيت، ثم كان منه تجديد البيعة والقيام بواجباتها كما قال الزهري ولا يجوز أن يكون قعود علي في بيته على وجه الكراهية لإمارته ففي رواية الزهري أنه بايعه بعد وعظم حقه، ولو كان الأمر على غير ما قلنا لكانت بيعته آخراً خطأ، ومن زعم أن علياً بايعه ظاهراً وخالفه باطناً فقد أساء الثناء على علي، وقال فيه أقبح القول وقد قال علي في إمارته وهو على المنبر: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها (صلى الله عليه وسلم) قالوا : بلى قال : أبو بكر ثم عمر ونحن نزعم أن علياً كان لا يفعل إلا ما هو حق ولا يقول إلا ما هو صدق وقد فعل في مبايعة أبي بكر ومؤازرة عمر ما يليق بفضله وعلمه وسابقته وحسن عقيدته وجميل نيته في أداء النصح للراعي والرعية... فلا معنى لقول من قال بخلاف ما قال وفعل وقد دخل أبو بكر الصديق على فاطمة في مرض موتها وترضاها حتى رضيت عنه فلا طائل لسخط غيرهما ممن ي دعي موالاة أهل البيت ثم يطعن على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويهجن من يواليه ويرميه بالعجز والضعف واختلاف السر والعلانية في القول والفعل وبالله العصمة والتوفيق)[1].

وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى: (وهو – أي أبو بكر- أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) لفضله وسابقته وتقديم النبي (صلى الله عليه وسلم) له في الصلاة على جميع الصحابة رضوان الله عليهم، وإجماع الصحابة _رضي الله عنهم_ على تقديمه ومتابعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة) [2].

ثالثا: من أهم ملامح اجتماع الثقيفة أن الأمر لم يتم لأبي بكر بالعنف أو الإكراه ، وإنما كان نتيجة مناقشة مفتوحة بين المهاجرين والأنصار، وأتيحت الفرصة كاملة لكلا الفريقين ليدلي برأيه في حرية تامة.

ويصف الدكتور الريس هذا الاجتماع بأنه كان شبيهًا بجمعية وطنية أو تأسيسية فوضها المسلمون للبحث في مصير الأمة للأجيال المقبلة، وفي رأيه أن هذا الاجتماع بما حوى من أسس جوهرية لمساجلات حرة للرأي جعل كاتبًا غربيًا يشهد بأنه (يذكّر إلى حد بعيد بمؤتمر سياسي دارت فيه المناقشات وفقًا للأساليب الحديثة) [3].

رابعًا: أن البيعة تمت أولًا في اجتماع السقيفة بحضور خاصة المسلمين ثم كانت بيعة العامة في اليوم التالي على المنبر، ولعل هذه الطريقة هي أساس نظرية أهل السنة في إتمام البيعة بواسطة أهل الحل والعقد أي خاصة المسلمين، وهم ذوي الدين والعلم والرأي.

خامسًا : اتسمت المناقشات بطابع فريد في نوعه لا نجد له شبيهًا في المجالس السياسية للمجتمعات التي بلغت أرقى درجات الرقى في العصر الحديث، فها هي المعارضة بما تمثله من مخالفة في الرأي. لا تلبث أن تخضع في سهولة ويسر لإحساس الأخوة في الدين وتمتثل لمبادئه

---

1) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، ص 179-180 .
2) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص 27 .
1) النظريات السياسية الإسلامية، الدكتور الريس، ص 25.

فيعترف كل منهما بأفضال الطرف الآخر بالرغم من الاختلاف في الرأي. وهكذا قدموا لنا نموذجًا مثاليًا للسلوك في المجال السياسي.

سادسًا: يستقتج ابن خلدون من هذه الحادثة أن أمر الإمامة لم يكن هو الأهم؛ لأن الإمامة من المصالح العامة المفوضة إلى المسلمين كافة، ولم يستخلف فيها الرسول (ﷺ) لأنها أقل أهمية من الصلاة، فإن إمامة الصلاة تأتي في المرتبة الأولى قبل الاستخلاف، ولهذا السبب استدل الصحابة في شأن أبي بكر باستخلافه في الصلاة على استخلافه في الإمامة بقولهم : (ارتضاه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟)، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: (فلولا أن الصلاة أرفع شأنًا وأكثر خطرًا من السياسة لما صح القياس) (1).

سابعًا: ومع تأكيد العلماء على تمام الإجماع لبيعة أبي بكر، فإنهم يستدلون بهذا الإجماع على أن النقل تواتر عن السلف والصحابة أنهم كانوا يتداولون في باب الإمامة أنْ لا نص فيه ا وإنما تتم بالاختيار؛ يقول إمام الحرمين : (وإن أردنا أن نعتمد إثبات الاختيار من غير التفات إلى إبطال مذاهب مدعي النصوص أسندناه إلى الإ جماع، ولأن خلافة الخلفاء الراشدين تمت جميعها على أساس البيعة وكانت متقدمة على الإمامة ثم اتسقت الطاعة بعدها وبهذا لم يبق إشكال على انعقاد الإجماع على الاختيار، وبطلان المصير إلى ادعاء النص) (2).

المطلب الثاني

ملامح الفكر السياسي عند أبي بكر الصديق

يجدر بنا في مبدأ الكلام عن السياسة الشرعية عند الصديق (رضي الله عنه) أن نعرج على قول شيخ الإسلام ابن تيمية في صفة تولي أبي بكر الحكم.

يقول شيخ الإسلام:(لم يطلب أبو بكر (رضي الله عنه) الخلافة لا برغبة ولا برهبة ، ولا شهر عليهم سيفا يرهبهم به، ولا كانت له قبيلة ولا أموال تنصره، وتقيمه في ذلك، كما جرت عادة الملوك أن أقاربهم ومواليهم يعاونونهم، ولا طلبها أيضا بلسانه، ولا قال: بايعوني، بل أمر بمبايعة عمر وأبي عبيدة - رضي الله عنهما- ومن تخلف عن بيعته كسعد بن عبادة (رضي الله عنه) لم يؤذه، ولا أكرهه على المبايعة، ولا منعه حقا له، ولا حرك عليهم ساكنا، وهذا غاية في عدم إكراه الناس على المبايعة ثم إن المسلمين بايعوه ودخلوا في طاعته ... وخرج منها أزهد مما دخل فيها ، لم يستأثر عنهم بشيء)(3).

وتتجلى معالم الفكر السياسي عند الصديق (رضي الله عنه) من خلال خطبته الفريدة التي تضمنت أسس الشورى والمواطنة ، كما أبرزت أ نموذجًا جليلا في تفاني الحاكم في القيام على مصالح رعيته؛ يقول الصديق (رضي الله عنه) مخاطبا الناس بعد مبايعته ليبين لهم سياسته وطريقة تعامله معهم: (أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)(4).

---

2) مقدمة ابن خلدون، ص219
3) غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين الجويني، ص 28
1) منهاج السنة، لابن تيمية، 449/7
2) رواه ابن هشام في سيرته (661/2) والبيهقي في سننه (353/6)

يقول ابن كثير رحمه الله عن قول الصديق (رضي الله عنه) ولست بخيركم :(هذا من باب الهضم والتواضع؛ فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم _رضي الله عنهم_. ولا مانع أن يكون كلامه على ظاهره فمهما بلغ الرجل من صفات الكمال فلا بد أن يعتريه نقص وأن يقع في خطأ فهو بحاجة إليهم ليكملوا نقصه)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقا على قول الصديق (رضي الله عنه) "فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني":(هذا من كمال عدله وتقواه، وواجب على كل إمام أن يقتدي به في ذلك، وواجب على الرعية أن تعامل الأئمة بذلك، فإن استقام الإمام أعانوه على طاعة الله تعالى، وإن زاغ وأخطأ بينوا له الصواب ودلوه عليه، وإن تعمد ظلما منعوه منه بحسب الإمكان، فإذا كان منقادا للحق، كأبي بكر (رضي الله عنه) فلا عذر لهم في ترك ذلك وإن كان لا يمكن دفع الظلم إلا بما هو أعظم فسادا منه، لم يدفعوا الشر القليل بالشر الكثير) [2].

كما أن من واجبات الحاكم عند الصديق (رضي الله عنه) حفظ الشريعة ومجاهدة الخارجين عليها وهذا أهم أمر عند الصديق (رضي الله عنه) فقاتل المرتدين ومدعي النبوة حتى ردهم.

ومن واجبات الحاكم عند الصديق (رضي الله عنه) نشر الدين؛ فقد أنفذ جيش أسامة ، وشرع في قتال فارس والروم، ونشر الفتوحات، ومات والمسلمون يحاصرون دمشق.

ومن معالم الفكر السياسي عند أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه يرى أن الحاكم بحاجة إلى رأي الناس ومشاورتهم لصلاح دينهم ودنياهم ؛ فعن ميمون بن مهران، قال : "كان أبو بكر (رضي الله عنه) إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم، فإن لم يجد في الكتاب، نظر: هل كانت من النبي (صلى الله عليه وسلم) فيه سنة؟ فإن علمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال: " أتاني كذا وكذا، فنظرت في كتاب الله، وفي سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلم أجد في ذلك شيئا، فهل تعلمون أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) قضى في ذلك بقضاء؟ "، فربما قام إليه الرهط فقالوا : "نعم، قضى فيه بكذا وكذا"، فيأخذ بقضاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)". قال جعفر وحدثني غير ميمون أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان يقول عند ذلك: "الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا (صلى الله عليه وسلم)"، وإن أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم، فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به"[3].

والحاكم عند أبي بكر (رضي الله عنه) إنما هو أجير عند المسلمين فهو موظف كسائر موظفي الدولة في استحقاقاته المالية فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت:" لما استخلف أبو بكر (رضي الله عنه)، قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه "[4].

كما يرى أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أن الحاكم له ما يحتاجه من بيت مال المسلمين من مسكن ومركب وخادم ونحوه ينتفع بها حال كونه يتولى أمر المسلمين ثم بعد ولايته تعاد لمن يخلفه ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال أبو بكر (رضي الله عنه) في مرضه الذي مات فيه : انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت في الخلافة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي . قالت عائشة : فلما مات نظرنا، فإذا عبد نوبي يحمل صبيانه ، وناضح كان يسقي عليه . قالت: فبعثنا بهما إلى عمر - (رضي الله عنه)، قالت: فأُخبرت، أن عمر (رضي الله عنه) بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب مَن بعده تعبا شديدا" [5].

---

3) البداية والنهاية، لابن كثير، 218/5
1) منهاج السنة، لابن تيمية، 272/8
2) رواه البيهقي في سننه (114/10)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (342/13)
3) رواه البخاري، 2070 .
1) رواه ابن أبي شيبة (15/7)، والبيهقي (353/6) بإسناد صحيح.

ثانيا: ملامح الفكر السياسي في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب

لا شك أن إدارة شؤون العباد والبلاد لهي من أصعب الأمور وأشقها، وتحتاج لرجل صبور وحكيم ومجتهد، يتقي الله في اجتهاده وسعيه لتدبير أمر الرعية ورعاية مصالحها ، كأمثال عمر (رضي الله عنه) وأرضاه، ولا يعبأ لما يقوله الناس هنا وهناك، من اعتراض غير مؤسس، أو إسهاب في مدح أو إعساف في ذم، أو غير ذلك.

وبما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد وضع اللبنات الأولى لنظام الدولة وطرق إدارتها، وترك المسلمين على المحجة البيضاء، إلا أننا نجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد اجتهد في مواطن كثيرة، واتخذ إجراءات عديدة ومنهجًا خاصًا لمعالجة إدارة الدولة الإسلامية في عهد خلافته، مراعاة لظروف طرأت ومستجدات حدثت، ومن ذلك:

1- لقب رأس الدولة:

لم يرد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا خليفته الأول أبابكر (رضي الله عنه)، قد استخدما رمزاً لرأس الدولة، أو أطلقا لقباً من الألقاب المختلفة على قائدها، تلك الرموز والألقاب التي أضحت اليوم من الأهمية بمكان، وترمز لسيادة الدولة وحرمتها، مثل لقب: الرئيس، والأمير، والإمام، والمستشار، والملك، والسلطان... إلخ.

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو أول من أطلق لقب أمير المؤمنين على الخليفة الذي ينعقد عليه إجماع أهل الحل والعقد قائداً لركبهم وفي رأس مسيرتهم، وهو لقب لم يسبق له وجود عند أهل الأرض حسبما يؤكد التاريخ، وبالتالي كان عمر (رضي الله عنه) أول من لقب بهذا اللقب المهيب (وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة، وقيل غيره)[1].

2- الفكر السياسي في اختيار الولاة وإحكام الرقابة الإدارية:

قال عمر (رضي الله عنه): " من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة لا يشغله إلا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ".

وقال أيضا: "من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله"[2].

وبهذا يكون عمر (رضي الله عنه) قد وضع مبادئ أساسية ولوائح عامة لطريقة اختيار ولاة الأمر وتعيين الموظفين القائمين على مصالح الأمة العامة يجب إتباعها والسير على هداها.

على الرغم من أن وازع الإيمان والضمير الحي - الذي كان يتمتع به ذلك الجيل من المسلمين- يعمل في الناس أكثر من وازع السلطان والقانون، إلا أن عمر (رضي الله عنه) لم يكتف بذلك فحسب بل كان يضع اللوائح والخطط الإدارية والأخلاقية التي تتناسب مع الموقف، وتؤدي وظيفتها بفعالية ونجاح في ذلك المجتمع المؤمن الواعي، ثم يقوم من بعد ذلك بواجب المتابعة والملاحظة والرقابة التي تؤمن سرعة التنفيذ وجودة الأداء، وبالتالي أضحى أن لا مجال لاحتكار الوظائف لذوي القرابة والحمية والمودة، أو لأصحاب الكلام المعسول، في ظل دولة الإسلام، وإلا فإن العاقبة وخيمة. " قال عمر في إحدى خطبه: فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومن غاب عنا ولينا أهل القوى والأمانة، فمن يحسن نزده حسنا ومن يسئ نعاقبه" [3]، ويقول ذات مرة لمن حوله: " أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما عليّ؟ قالوا : نعم، قال : لا حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا؟ " [4].

---

2) الحافظ ابن كثير، الهداية والنهاية، 18./7

3) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص.57

1) طبقات ابن سعد، مرجع سابق، ص208

2) عبقرية عمر، عباس العقاد، ص158

وتنفيذا لذلك فإن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد اتخذ من مواسم الحج وقتاً لمراجعة أداء الولاة ومحاسبتهم، لأنه موسم جامع لأهل الأمصار والولايات والأقاليم المختلفة. فيسأل الناس عن الولاة وعدلهم، ومدى التزامهم بأوامره وتوجيهاته العامة التي يعلنها في المنبر دائماً . وبعد أن يتبين له حالهم يتخذ وسيلة النصح والإرشاد أداة للتعامل مع ولا ته، في رفق وثبات، قبل استخدام القسوة والعقوبات الرادعة، والتي لا يتوانى في إنزالها بمن يستحق.

كتب إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) بالبصرة فقال: "أما بعد، فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله تعالى من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمال ك، فيكون مثلك عند الله (عز وجل) مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها، والسلام عليكم"[1].

نخلص من هذا إلى عدة وسائل وأسس كان يتبعها عمر (رضي الله عنه) مع ولاة الأمر ومسئولي الإدارات في دولته، باعتبارها عوامل رقابة وضبط تؤدي لإنجاح مهامهم، وهي:

- إحسان اختيارهم وقت التعيين دون محاباة أو تأثر بعوامل جانبية.
- مراقبتهم ومتابعة أدائهم في تثبت وحكمة.
- وبين هذا وذاك ملاحقتهم بالنصح والإرشاد والتذكير والتأنيب.
- ثم العقوبة التي قد تصل إلى درجة العزل من المنصب أو فوق ذلك أو دونه بحسب الحال والمقام.

هذا الذي ننشده في عالمنا الإسلامي اليوم وندعو إليه، مع الإشارة إلى أن حظر تولية المناصب والمواقع الإدارية لذوي القربى ليست مقصودة لذاتها، بل الهدف ألا تكون القرابة هي العامل الأساسي في اختيارهم أو في تقديمهم على ذوي القوة والأمانة والكفاءة (قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ).[2]

ويقول عمر (رضي الله عنه): "من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يشغله إلا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين" أي استعمله دون نظر إلى مؤهله وقدرته وكفايته وعدله وأخلاقه.

وما تلزم الإشارة إليه والتأمل فيه ملياً، والتنبيه إليه كثيراً، أن عمر (رضي الله عنه) قد عاقب ولاة وإداريين، وعزل آخرين، ولم تكن تلك المخالفات التي ارتكبها الولاة والإداريون وترتب عليها معاقبتهم، لم تجر إلى قدح في عدالة رموز الدولة الإسلامية آنذاك، أو تجلب طعناً في نزاهتها، باعتبار أن إدارة الدولة العليا بها مفسدون، فتلزم محاربتها والخروج عليها، والسعي لإزالتها بشتى الطرق والوسائل، كما يروج الكثيرون من ساسة اليوم في ظل الأحداث المشابهة.

لذا فإن ظهور ذلة هنا، وعثرة هناك، في ظل دولة تتبنى الإسلام منهجا ونظاماً، ليس منقصة أو طعناً يقلل من شأن تلك الدولة، أو قصوراً يبيح الخروج عليها، طالما أن الحق ينتصر له، والظلم تجتث جذوره، والظالم يجد جزاءه وينال العقاب الرادع، قال صاحب العواصم من القواصم: " فقد حدّ عمرُ قدامةَ بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله ... وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة"[3]. ذلك لأنها تقع في دائرة العقوبات التعزيرية التي يقدرها القاضي أو الحاكم بحسب الحال والظرف المحيط بوقوع المخالفة الإدارية، وليس في دائرة الجرائم الحدية ذات العقوبات المقررة في النصوص الشرعية، والتي لا يجوز للقاضي أو الحاكم أن يحكم بغيرها أو يتنازل عنها.

3- الإعداد العسكري **وحماية الدولة:**

---

3) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص172.

2) سورة القصص: آية 26.

2) العواصم من القواصم، القاضي أبوبكر بن العربي، ص 110

بعد اتساع رقعة الدولة إثر الفتوحات الإسلامية، وجد الخليفة عمر (رضي الله عنه) نفسه أمام مستجدات في أمر الحرب، تحتاج إلى اجتهاد وترتيب شأن القتال، وتخطيط لمواجهة الأعداء والأحداث في المواقع الجديدة، ومن حينها سعى جاداً في تكوين قوة عسكرية رسمية تتكون من أفراد بعينهم، وتحديد مناطق عسكرية، (فكان من أوليات عمر إقامة المعسكرات المتعددة ليتجمع في كل معسكر جند معينون مزودون بكل ما يحتاجون إليه من الرزق والسلاح، وتكون هذه المعسكرات قواعد حربية ثابتة ينطلق منها جند الله في وقت النفير)[1].

بل تجاوز ذلك وقام بتكوين قوات احتياطية لتكون تحت الاستعداد لكل طارئ، وأعد في الأمصار خيولاً للطوارئ وتتحرك بإنذار قصير للأماكن المهددة بالخطر من دار الإسلام، وقد حمى عمر بعض المراعي لتلك الخيول، فحمى الربذة مثلاً لخيول المسلمين، وكانت عنده خيل موسومة على أفخاذها "حبيس في سبيل الله" يحمل الغزاة عليها [2] وأقام الثغور والمسالح - أي النقاط العسكرية - واتخذ قوات احتياطية وأمر قادة الجبهات الجهادية أن يوافوه بالتقارير المفصلة في أوقات منتظمة، وخصص للجيوش الأطباء والقضاة والمرشدين.

وبهذا بدأت القوة العسكرية المنتظمة تشق طريقها في ظل دولة الإسلام، فهو يتخذ كل ما يلزم من أسباب القوة والنجاح، فنجد القضاء العسكري والتوجيه المعنوي...إلخ.

أما التوجيه المعنوي فقد أولاه غاية اهتمامه، باعتباره عاملاً حاسماً ومؤثراً في ميزان الحرب وإدارتها، كتب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه في الطريق إلى القادسية فقال :(أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى العدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوِّهم لله، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عددتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا)[3].

فهذه توجيهات عسكرية تصدر بصيغة الأمر، وبالتالي ليس أمام القائد وجنوده خيار غير تنفيذها، وهي تعكس مدى اهتمام القائد عمر (رضي الله عنه)، بهذه المؤسسة الحيوية، ومدى فهمه واستيعابه للحياة السياسية، والضرورات الظرفية، ثم إصدار اللوائح والأوامر والتشريعات المناسبة لكل حال وكل موقف وكل ظرف.

4- الأمن والاستخبار:

الأمن والاستقرار من مقومات الحياة الأساسية، التي بدونها لا يجد الناس للحياة معنى ولا لأنفسهم راحة ولا سعادة - وأحداث اليوم من حولنا خير شاهد على ذلك - فقد امتن الله تعالى على قريش بنعمة الأمن التي اكتسبها أهل مكة بسبب حرمة البيت الحرام وقدسيته فقال :(فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ).[4]

وقد اهتم النبي (صلى الله عليه وسلم) ببسط الأمن بمفهومه السائد اليوم، ومن ذلك قيامه بتعيين حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) في هذه الوظيفة ليأتيه بخبر الأحزاب يوم الخندق، كما كلف نعيم بن مسعود الأشجعي أيضا أن يكتم إيمانه ويخذل الناس عن المؤمنين في يوم الأحزاب، وفعل الأمر نفسه مع عمه العباس الذي أثبتت الروايات أنه كان يكتم إيمانه بين قريش ليعرف سرها، وأخر هجرته لأجل أداء هذه المهمة، وهو الذي كشف لرسول (صلى الله عليه وسلم) حجم قوة قريش عند مخرجهم إلى أُحدٍ مباغتة، بكتاب أرسله للمدينة خفية.

---

1) أوليات الفاروق السياسية غالب عبد الكافي القرشي، ص276
2) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص112
3) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص94.
4) سورة قريش: آية 3-4.

أما عمر (رضي الله عنه) فقد أثرى الموضوع، ووضع له الأسس والضوابط، وعمَّم الاهتمام به على كافة ولاته وقادته، طبقاً لسياسته الشرعية في كافة المجالات، وهو القائل "لست بالخب ولا الخب يخدعني" وهي عبارة تعكس ذكاءه وفطنته وحذره " فهو ليس ذكاء هجوم ولا ذكاء مراوغة أو مقاومة، إنما ذكاء تفوق يتفجر من شخصية متفوقة ويعمل في خدمة مبادئ متفوقة"[1].

وقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) وهو في طريقه إلى القادسية يقول : "إذا وطئت أدنى أرض العدو فلذك العيون بينك وبينهم- أي بثها - حتى لا يخفى عليك أمرهم، وأختر لهذا من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك" [2].

فإن عمر (رضي الله عنه) يؤكد في هذا السياق والكلمات، اهتمامه برجل الأمن والاستخبارات، وبدوره الحيوي في الحياة كافة، وإن ذلك من أسباب النجاح والانتصار في كل الميادين، وجزء هام من عوامل الاستقرار والتمكين بعد النصر، بل يذهب لأكثر من ذلك حين يحدد سمات ومميزات رجل الأمن التي تمكنه من أداء مهمته بنجاح؛ كالذكاء والصدق والأمانة والحذر والانضباط وحسن السلوك والتصرف.

كما يكشف (رضي الله عنه) عن تطبيقاته العملية في هذا المجال : من إحسان اختيار العيون ، ثم بثها في موطن العدو لتحديد طبيعة المعركة، وكشف خططهم وتدابيرهم، ثم اتخاذ ما يلزم من الحيطة والحذر، تحاشياً لمباغتة الأعداء وغدرهم المعهود دوماً ، ثم يقول "وإذا دنوت من أرض العدو فأكثر الطلائع وبث السرايا، أما السرا يا فتقطع إمدادهم ومرافقهم، وأما الطلائع فتبلوا أخبارهم، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك"[3].

فإن ذلك لمن أنجح وسائل الحماية للدين والنفس والوطن، ومن أصدق صفات القيادة الحكيمة.

وهكذا فإن عمر (رضي الله عنه) قد وضع قواعد هذا الفن، وحدد صفات الرجل المناسب لهذه المهمة الصعبة، ومن أهمها : التقوى والصدق والصبر والأمانة والذكاء، إلى جانب واجب القائد في الاهتمام والمتابعة والتثبت في هذا الأمر الحيوي.

ولا يكتفي عمر (رضي الله عنه) بمعرفة أحوال الناس وصدق نواياهم ثم الاطمئنان إليهم، بل كان عليماً بأحوال الناس، فطناً، لا ينظر إليهم من جانب واحد- خيراً أو شراً - بل علم الدنيا وعلم كيف يتقلب الإنسان، وراح في علمه هذا يراقب الناس مراقبة الحذر، ويقيم عليهم الأرصاد، مراقبة الرجل الذي لا يفوته أن ينتظر منهم ما ينتظر من خير وشر وقوة وضعف وصلاح وفساد[4].

5- تأسيس بيت المال:

من المعلوم أن أموال الدولة الإسلامية في فجر مولدها وفي صدر الإسلام، كانت تقسم على مستحقيها، وفي مصارفها دون أن يبق من ذلك شيء، وبالتالي لم تكن هناك خزائن للدولة ولا بيت مال.

ولما اتسعت الدولة وشغل عمر (رضي الله عنه) بكثرة الأموال التي كان عماله يبعثون بها من كل فج - نظراً لازدياد الموارد وغزارة ريعها - رأي عمر (رضي الله عنه) أن لابد من وضع نظام لإحصاء هذا المال وتوزيعه، مما حمل أمير المؤمنين على التفكير في إقامة نظام مالي للدولة الناشئة.

---

2) بين يدي عمر، خالد محمد خالد، ص128.
3) بين يدي عمر، خالد محمد خالد، ص142.
1) المصدر نفسه، ص142
2) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص160.

(قيل إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال للناس يوماً: إنه قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعده لكم عدا، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدوِّنون ديواناً يعطون الناس عليه، قال: فدوِّن الديوان)[1].
وهكذا برز بيت المال باعتباره وعاءاً جديداً في جسم الدولة الإسلامية وهيكلتها، تصرف منه رواتب الجنود والعمال، وتسد منه حاجة المعدمين.

ومرة أخرى تجود قريحة عمر (رضي الله عنه) بإتباع سياسة تصلح الدولة والرعية ، وتحفظ المال العام وتحقق الصالح العام، ولم يقف مكتوف الأيدي أمام الأحداث العظام، و يتذرع بالتمسك بما ورثه عن صاحبيه خشية الابتداع أو التشويه.
وما تجدر الإشارة إليه: أن هذه الأعطيات التي تعطى للمعوزين من بيت المال، لم تكن سبباً لبطالتهم أو اعتمادهم على غيرهم - أي إنها لم تثمر تسكعاً وخمولاً وتركاً للإنتاج والإبداع - بل أثمرت نشاطاً وحيويةً وانطلاقاً نحو الآفاق، تبليغاً لدين الله، وتمهيداً لنشر الدعوة وكسباً للرزق (فلسنا نعرف اليوم بلدًا يوفر فيه الرزق على الناس من بيت المال أو من خزائن الدولة دون أن يمنعهم ذلك من العمل لأنفسهم وللناس، ومن التزيد من الكسب والتوسع في الفيء)[2]. ذلك لأن المسلم يدرك قيمة الوقت والعمل وثوابه، وخطورة المسألة والخمول وعقابها.
وهذا ما ينبغي أن تركز عليه وتبصر به المنظمات والأفراد العاملين في مجال العون الإنساني، والتصدي لحملا ت التشويش والتنصير العالمية، عليهم تبصير القادمين إلى الإسلام، وكذلك المسلمين الذين تعرضوا لنكبات وظروف اضطرتهم إلى النزوح ودخول الملاجئ، وتلقي الإغاثات، بأن الإسلام دين عمل وجدٍ وإنتاجٍ، وأن المؤمن مأمور بالسعي وبكسب الرزق.

6- وقف سهم المؤلفة قلوبهم لعدم توفر الدواعي له:

المؤلفة قلوبهم (هم الذين يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الإسلام أو التثبيت عليه أو كف شرهم عن المسلمين أو رجاء نفعهم)[3].
فهم إذًا: إما مسلمون ويعطون من المال تثبيتاً لهم في الإسلام لحداثة عهدهم به ، أو استمالةً لغيرهم ممن لم يسلم وله بهم صلة. كما حدث في غزوة حنين مع أهل مكة الذين اسلموا بعد الفتح، حين أعطاهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الغنائم أكثر من ما أعطاه للسابقين في الإسلام، نظراً لحداثة عهدهم بالإسلام، وكما حدث من أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر، إذ أعطاهما لمكانتهما في قومهما وهما مسلمان.
وإما كفارٌ ويعطون من المال رجاء إسلامهم ومن معهم أو دفعاً لشرهم ومن معهم ، كما حدث مع صفوان بن أمية في غزوة حنين، إذ حضرها وهو غير مسلم، وأعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الغنائم تأليفاً له فأسلم [4].
وقد جعل الإسلام للمؤلفة قلوبهم أحكاماً استثنائية في بعض أحوالهم، تأليفاً لقلوبهم، وتقديراً لظروفهم ومن ذلك:

- أنهم يجوز إعطاؤهم من الغنائم والفيء أكثر من بقية المجاهدين.
- أنهم لا يقام عليهم حد أو عقاب في جناية ارتكبوها جهلاً بحكمها ، إن كانوا حديثي عهد بالإسلام.

3) طبقات ابن سعد، 228/3
1) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص 129.
2) أوليات الفاروق السياسية، غالب عبد الكافي، ص111.
3) انظر: حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي 129/1

➢ جعلهم الله تعالى أحد مصاريف الزكاة الثمانية ، وذلك في قوله تعالى :(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم).(1)

وقد مضت السنة عملياً في تطبيق هذه الأحكام كما حدث في غزوة حنين وغيرها، ومع هذا نجد عمر (ﷺ)، وفي إطار سياسته الشرعية في إدارة شؤون الدولة والرعية يوقف هذه الخصوصية للمؤلفة قلوبهم، فيمنع عنهم الصدقات، ويمنع تمييزهم في الغنائم والفيء ويقول: (إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم، فإن ثبتم إليه وإلا فبيننا وبينكم السيف) (2).

وهذا من عبقريته وفقهه؛ فنجده (ﷺ) يجتهد ويخرج عن السوابق العملية، نظرًا لظرفٍ استجد ومصلحة يجب تحقيقها، كل ذلك في إطار السياسة الشرعية وتقلباتها مع مصالح العباد المرسلة، مستصحباً لمقاصد الشرع ومراميها (والحق إن أعمق رؤى البصيرة، وأعمق أسرار الشريعة قد التقت لقاءً سعيدًا في وعي هذا الرجل الراشد الأمين) (3).

وما تجدر الإشارة إليه أن المؤلفة قلوبهم يجب الاهتمام بهم، و إنفاذ سهمهم في وقتنا المعاصر، لزوال السبب الذي أدى لمنعه، ونظرًا لحالة الركود التي يعيشها المسلمون اليوم، فإعمال النص مازال متاحاً، بل يجب الرجوع إليه والأخذ به بتوسعٍ وفهمٍ عميق ين، ليحقق أهدافه ، ومن هنا تتجلى عبقرية عمر (ﷺ)، ومن قبل ذلك تتضح سعة الإسلام ومرونة أحكامه في مسايرة كل ظرف دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير.

7- تأميم أرض الفتوحات:

إثر الفتوحات وتنامي الدولة الإسلامية واتساع رقعتها، أصبح الأمر يحتاج لفقه يستوعب تلك المستجدات، من حيث إدارة المناطق المفتوحة، ووضعية أهلها- من أسلم منهم ومن لم يسلم وقد سالم- وتقسيم الغنائم والفيء بين المجاهدين والمسلمين كافة... الخ.

ومن المقرر شرعاً أنه يجب تقسيم الغنائم والفيء - بما في ذلك الأرض المفتوحة - على جملة المشاركين في الجهاد، (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ)(4). وكما حدث عملياً من الرسول (ﷺ) في يوم خبير وبني قينقاع وفي يوم بني النضير؛ إذ قسم الأرض مع بقية الغنائم على المجاهدين.

ولكن عمر (ﷺ) بفقهه واجتهاده وبصيرته يتبع سياسة مغايرة في هذا الأمر، طبقاً لمقتضيات الظروف وضرورة الحال . ويجعل الأرض المفتوحة وقفًا عامًا للمسلمين ، ويمنع تقسيمها من بين الغنائم الأخرى، ويستجيب المستشارون من الصحابة - رضي الله عنهم - في طاعة وتسليم، رغم علمهم بفقه الغنائم وما ورد فيها من نصوص قطعية، ولكنه دأبهم في أدب الاختلاف والتعامل مع المستجدات الفقهية، والاجتهادات التي تتماشى مع حكمة التشريع.

ورد أن عمرو بن العاص (ﷺ) بعد فتح مصر كتب إلى عمر بن الخطاب (ﷺ) يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها، فكتب عمر : (لا تقسمها وذرها ليكون خرجها فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم)(5). كما فعل أمير المؤمنين ذلك من قبل بأرض العراق فلم يقسمها.

---

1) سورة التوبة: آية 60.
2) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص76.
3) بين يدي عمر، خالد محمد خالد، ص133.
4) سورة الأنفال: آية 41.
2) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ص129.

ومن يومها أ صبحت الأرض المفتوحة من موارد الدولة الثابتة، وتصرف عوائدها في صالح الإسلام والمسلمين ، تقويةً لأركان الدولة، وصداً للأعداء ، وعوناً للرعية ، ولم يكن ذلك تشويهاً للإسلام ولا تح ايلاً على نصوصه، بل هو الفهم الصحيح للإسلام والاستيعاب الكامل لنصوصه، والتعامل معها بمرونة وثبات . إذ نظر عمر (ﷺ) لمستقبل الدولة والأجيال اللاحقة، فاتخذ قراراً يؤمن ذلك، ويحفظ للدولة قوتها، ولم يخرج عن روح النص، إذ أن أحد أهداف توزيع الغنائم دفع المجاهدين وتحفيزهم لحماية دولة الإسلام، فالحماية والقوة والمنعة هي الأصل في هذا المقام.

ثالثا- ملامح الفكر السياسي في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ)

حديثنا الآن عن السياسة الشرعية لذي النورين (ﷺ) إكمالا لما مر من بيان السياسة الشرعية عند الصديق والفاروق. فخلافة عثمان (ﷺ) دامت اثنتي عشرة سنة كان المسلمون فيها في رغد عيش وأمن وفتوحات.

فقد أخرج الإمام البخاري في (التاريخ): ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرا، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، الأعطيات جارية، والأرزاق دارّة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمنا، ومن لقيه فهو أخوه، قد كان من إلفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثره، فإذا كانت فاصبروا.

قال الحسن: فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير "[1].

وقد تم اختيار عثمان (ﷺ) للخلافة وبايعته الأمة كلها بالخلافة . قال الإمام أحمد :" لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان (ﷺ) فلما حصلت الفتنة وطالبت فئة من الناس بتنحي عثمان عن الخلافة استشار عثمان بعض الصحابة - رضي الله عنهم - فبعضهم رجح المصلحة العامة ونصح عثمان (ﷺ) بالتنحي منهم المغيرة بن الأخنس الذي دافع عن عثمان (ﷺ) حتى قتل معه ومنهم من نظر إلى العواقب فاقترح على عثمان عدم التنحي منهم ابن عمر (ﷺ)"[2].

فعن عبد الله بن عمر (ﷺ) قال: قال لي عثمان وهو محصور في الدار: ما ترى فيما أشار به علي المغيرة بن الأخنس؟ قال قلت: ما أشار به عليك؟ قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي فإن خلعت تركوني وإن لم أخلع قتلوني. قال قلت: أرأيت إن خلعت تترك مخلدا في الدنيا؟ قال: لا. قال: فهل يملكون الجنة والنار؟ قال: لا. قال قلت: أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟ قال : لا. قلت: فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه لا تخلع قميصا ألبسكه الله"[3].

ومع أن عثمان (ﷺ) بايعته الأمة مبايعة شرعية فقد هم بترك الخلافة حقناً للدماء وحينما رأى المصلحة في عدم التخلي عن الخلافة نهى الصحابة - رضى الله عنهم - عن الدفاع عنه ومقاتلة المعتدين وكانوا قلة مقارنة بأهل المدينة فعن عبد الله بن عامر ابن ربيعة قال: قال عثمان (ﷺ) يوم الدار : " إن أعظمكم عني غناء رجل كف يده وسلاحه "[4]. وعن عبد الله بن الزبير (ﷺ) قال: قلت لعثمان (ﷺ) يوم الدار : "قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال: لا والله لا

1) رواه البخاري في التاريخ، حديث رقم: 3700.
2) منهاج السنة، 154/6.
3) رواه ابن سعد في طبقاته (48/3)، وابن أبي شيبة في مصنفه (515/7) بإسناد صحيح.
4) رواه ابن سعد في طبقاته (51/3) بإسناد صحيح.

أقاتلهم أبدا، قال: فدخلوا عليه وهو صائم، قال: وقد كان عثمان أمر عبد الله بن الزبير على الدار، وقال عثمان :من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير"[1].

فمن سياسة عثمان الشرعية تغليب جانب مصلحة الناس على مصلحة الحاكم في ترك القتال مع الحاكم وإن كان الحق معه حتى لا يكثر القتل ويستمر.

ومن سياسة عثمان الشرعية أنَّ الحاكم ه و المسئول الأول عن الناس فيجب عليه أن يتلمس حوائجهم وينظر في مصالحهم ؛ فعن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال : رأيت عثمان بن عفان (رضي الله عنه) والمؤذن يؤذن وهو يحدث الناس يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار"[2].

ومن سياسة عثمان (رضي الله عنه) الشرعية أنَّ الحاكم كسائر موطني الدولة فليس له أبهة الملك بل الكبر محرم وليس له الحق في سكن القصور والتنعم أكثر من غيره فالحاكم يخالط الناس ويجلس معهم ولا يحتجب عنهم فعن الحسن البصري قال : "رأيت عثمان (رضي الله عنه) ينام في المسجد متوسدا رداءه"[3].

ومن سياسة عثمان (رضي الله عنه) الشرعية أنَّ الحاكم كغيره من الناس ينقد وينبه على أخطائه في السر والعلن فعن علقمة بن وقاص قال: قال عمرو بن العاص لعثمان (رضي الله عنه) وهو على المنبر : "يا عثمان إنك قد ركبت بهذه الأمة نهابير من الأمر - أموراً شِداداً صعبةً - فتب وليتوبوا معك . قال فحول وجهه إلى القبلة فرفع يديه فقال :اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك . ورفع الناس أيديهم "[4]. فعمرو بن العاص ينتقد الخليفة أمام الصحابة - رضى الله عنهم - ولم ينكر عليه أ حد منهم ونزل عثمان عند طلبه فأستغفر ربه وطلبه التوبة.

ومن سياسة عثمان (رضي الله عنه) الشرعية أنَّ من واجبات الحاكم توزيع ما زاد من الثروة على الناس فعن عروة بن الزبير، قال: «أدركت زمن عثمان (رضي الله عنه) وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله حق»[5]. فحقوق الناس يحصلون عليها من غير منة أو إذلال لهم.

وعن الحسن البصري قا ل: " أدركت عثمان (رضي الله عنه) وأنا يومئذ قد راهقت الحلم فسمعته يخطب، وما من يوم إلا وهم يقسمون فيه خيرا، يقال : يا معشر المسلمين اغدوا عل ي أرزاقكم، فيغدون ويأخذونها وافرة، يا معشر المسلمين اغدوا على كسوتكم، فيجاء بالحُلل فتُقسم بينهم"[6].

ومن سياسة عثمان الشرعية أن من واجبات الحاكم تطبيق الشرع والنظام على الجميع من غير محاباة لأحد مهما كان قربه م ن الحاكم ومساعديه ففي حديث عبيد الله بن عدي بن الخيار لعثمان (رضي الله عنه) قال له: "أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، فقال سَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا (رضي الله عنه) فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ" [7]. فجلد عثمان (رضي الله عنه) أخاه من أمه الوليد بن عقبة حينما شهد عليه أنه شرب الخمر.

ومن سياسة عثمان الشرعية أن على الحاكم عزل كل من ثبت عدم صلاحيته للو لاية فقد كان أخوه لأمه الوليد بن عقبة أميراً على الكوفة فعزله بسبب شربه الخمر[8].

ومن سياسة عثمان (رضي الله عنه) الشرعية حفظ أعراض الناس وعدم السماح لأحد أن يتعرض لهم بغير حق فعن أبي رجاء: "أن عمر، وعثمان (رضي الله عنه) كانا يعاقبان على الهجاء" [1]. فالشعر في وقتهم

---

5) رواه ابن سعد (52/3) بإسناد صحيح.
1) رواه ابن سعد (43/3) وابن شبة في تاريخ المدينة (179/2) بإسناد صحيح.
2) رواه ابن سعد (43/3) وابن أبي شبة في تاريخ المدينة (179/2) بإسناد صحيح.
3) رواه ابن سعد 51/3 بإسناد حسن.
4) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (241/2) بإسناد حسن
5) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (242/2) بإسناد صحيح.
6) رواه البخاري، برقم:3696
1) انظر: ابن سعد (23/5) وابن شبة في تاريخ المدينة (191/2) وعبدالرزاق (9770) والبلاذري (521/5)

وقتهم كان أقوى وسائل الإعلام فعاقب عمر وعثمان - رضي الله عنهما - من يسب ويفتري على المسلمين بغير حق من الشعراء فحصنا الأمة من تطاول الشعراء.

رابعًا- ملامح الفكر السياسي في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله (ﷺ) بالمؤاخاة، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن، وهو أول خليفة من بني هاشم. وفيما يأتي جوانب الفكر السياسي عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

مكانته بين الصحابة وبيعته للخلافة:

عرف (رضي الله عنه) ببراعته في القضاء فكان عمر بن الخطاب يقول: "أقضانا علي "، كما تميز بإيمانه العميق وفقهه الدقيق وقدرته على التأثير والإقناع كما يلاحظ في إسلام همدان كلها على يديه في يوم واحد.

ولما استشهد عمر (رضي الله عنه) كان علي أحد الستة الذين يتألف منهم مجلس الشورى لاختيار أحدهم خليفة، وقد تمت البيعة لعثمان بن عفان، وبايعه علي، فكان ثاني من بايعه بعد عبد الرحمن بن عوف.

وكان قريباً من الخليفة عثمان يستشار في الأمور المهمة، ومن مشوراته موافقته لعثمان في جمع الناس على قراءة واحدة لمنع اختلاف الناس في القرآن.

تولى علي الخلافة إثر مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما في ظروف خطيرة حيث سيطر الناقمون على عثمان على المدينة، وأفلت الأمر من يد كبار الصحابة، ولم تعد ثمة سلطة عليا تحكم الدولة الإسلامية، وقد سعى الناقمون إلى تولية عبد الله بن عمر، وهددوه بالقتل إن لم يرض، ولكن لم يجدوا منه إلا صدوداً؛ فأدركوا أن أمر الخلافة بيد أهل المدينة من المهاجرين والأنصار من أهل بدر، وأن الناس تبع لهم في ذلك [2].

وقد بادر الناس إلى علي ليبايعوه، فاظهر رغبته عن الخلافة في تلك الظروف وقال: " والله إني لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله (ﷺ): ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة، وإني لأستحي من الله أن أُبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يُدفن بعد"، فانصرفوا.

فلما دُفن عثمان (رضي الله عنه) أتوه مرة أخرى وسالوه البيعة وقالوا: لابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تريدوني. فإني لكم وزير خير مني لكم أمير. فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك.

وهنا تفتق ذهن علي (رضي الله عنه) عن وسيلة تجعله يتلقى البيعة علناً من المسلمين عامة دون أن يبايعه الناقمون بيعة خاصة، فقال لنفسه - كما صرّح فيما بعد: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه. وقال لهم: "فإذا أبيتم علي، فإن بيعتي لا تكون سراً، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني"، فخرج إلى المسجد وبايعه الناس عن رضاً واختيار، سوى طلحة والزبير فإنهما بايعاه مكرهين، ولم يكونا راضيين عن الطريقة التي تمت بها البيعة؛ حيث لم يتم التداول بين أهل الحل والعقد بشأنها، ولم يعقد مجلس للشورى؛ ولأن الثوار أتوا بهما بأسلوب جاف عنيف، ولاشك أن هذه الطريقة فرضتها طبيعة الأحداث لسيطرة هؤلاء الأعراب الجلف على المدينة.

واعتزل بعض الصحابة فلم يبايعوا علياً ومنهم محمد بن مسلمة، وأهبان بن صيفي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، فقد كانوا يرون الناس في فرقة واختلاف وفتنة، فكانوا

---

2) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (242/2) وابن أبي شيبة (28381) بإسناد صحيح.
3) انظر: خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد فقيهي، ص 87 وما بعدها

ينتظرون أن يستقر الأمر فيبايعوا. كما أن معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام وكثير من أهل البصرة ومصر واليمن لم يبايعوه.

ولكن معظم أهل الحل والعقد من أهل بد ر والمهاجرين والأنصار بالمدينة بايعوا علياً (رضي الله عنه)؛ وبذلك انعقدت له البيعة وصار خليفة للمسلمين[1].

ذِكر بعض سياساته (رضي الله عنه):

كان أبو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خازناً لعلي على بيت المال، فدخل علي يوماً وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال: من أين لها هذه؟ لأقطعن يدها، فلما رأى أبو رافع جِده في ذلك قال: أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها. فقال علي: لقد تزوجت بفاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها.

وقال عاصم بن كليب عن أبيه: قدم على علي مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفاً فقسمه على سبعة، ودعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولاً.

وقال الشعبي: وجد علي درعاً له عند نصراني فأقبل به إلى شريح وجلس إلى جانبه، وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي، فقال النصراني: ما هي إلا درعي، ولم يكذب أمير المؤمنين، فقال شريح لعلي: ألك بينة؟، قال: لا، وهو يضحك، فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد، وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه. ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسي ره إلى صفين، ففرح علي بإسلامه ووهب له الدرع وفرساً، وشهد معه قتال الخوارج.

قيل: وخرج من همذان فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى، فسمع صوتاً : يا غوثاه بالله يحضر نحوه وهو يقول: أتاك الغوث. فإذا رجل يلازم رجلاً. فقال :يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوباً بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً، وكان شرطهم يومئذ، فأتاني بهذه الدراهم، فأتيت ولزمته فلطمني. فقال للاطم: ما تقول؟، فقال: صدق يا أمير المؤمنين. فقال: أعطه شرطه، فأعطاه. وقال للملطوم: اقتص، قال: أو أعفو يا أمير المؤمنين؟، قال: ذلك إليك. ثم قال: يا معشر المسلمين خذوه، فأخذوه، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، وقال: هذا نكالٌ لما انتهكت من حرمته.

وقد كان علي (رضي الله عنه) مدركاً لأهمية وجود السلطة في ديار الإسلام، فقال : لابد للناس من إمارة برةٍ كانت أو فاجرة، فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟، فقال : يُقام بها الحدود، وتؤمن بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء".

ولهذا كان علي (رضي الله عنه) واعياً بظروف الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان (رضي الله عنه)، وأن الدعاية الواسعة ضد الخليفة عثمان وولاته كانت وراء النقمة عليه؛ لذلك سارع علي إلى إقالة كبار عمال عثمان (رضي الله عنه)، ولم يكن معظم ولاة عثمان في ولاياتهم بل تركوها في ظروف الفتنة.

ويرى البعض أن أهم التطورات التي جرت في خلافة علي خروجه من المدينة إلى الكوفة؛ وبذلك صارت المدينة ولاية من الولايات عُين عليها والياً هو سهل بن حنيف الأنصاري، في حين صارت الكوفة مقر الخلافة ومحور الأحداث.

ولم تخضع الشام لعلي طيلة خلافته، بل كان يحكمها واليها القديم معاوية بن أبي سفيان الذي لم ينفذ أمر عزله الذي أصدره علي، وطالب بدم عثمان أولاً. أما ولاية الجزيرة بين العراق والشام، فكانت تخضع لسلطان علي حيناً ولسلطة معاوية حيناً آخر . وأما مصر فكانت تابعة لعلي (رضي الله عنه) حتى سنة 38 هـ.

---

1) انظر: كتاب السنة لأبي بكر الخلال، ص415 وما بعدها، والطبقات لان سعد، 31/3

وقد واجه الخليفة مشكلات عديدة في ولايات الدولة الإسلامية من انفلات بعضها من سلطانه كاليمن والحجاز ومصر، ومن انتشار الحركة الخارجية ونشاطها في ولايات العراق وفارس، بالإضافة إلى ثورات السكان الأصليين، والتحاق بعض الولاة بمعاوية.

وكان علي (رضي الله عنه) يراقب ولاته ويسائلهم عن سياستهم تجاه الدولة والرعية، كما فتح بابه لاستقبال شكاوى الرعية ضد الولاة فكان يقول : "اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك".

ولتحقيق تلك الرقابة اتبع عدة أساليب، منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك : أما بعد فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم.

كما كان (رضي الله عنه) يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم.

وقد كان أمير المؤمنين دائم النصح لولاته، وقد نصح (رضي الله عنه) مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه على مصر حيث أوصاه : تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك، فإذا أنت قد متها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وأرفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يُمن.

وكانت تجرى بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية، أو الشفهية، أو بالاتصال المباشر، وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم.

وكان علي كثيراً ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوباً، وبعضها مشافهة. فقد جاء في أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله : "فإنكم خزان الراعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تجشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، ولا عبدًا، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد".

أما مبادئ وثوابت الإسلام فكانت المنبع والمصدر الو حيد في سياسة علي بن أبي طالب وأسلوبه في إدارة شؤون الدولة، مثلما كان الأمر عند الخلفاء الثلاثة الذي سبقوه. فكل عمل سياسي أو إداري أو اقتصادي أو قضائي داخل نظام الحكم لا بد أن يكون موافقاً لشرع الله ..ولهذا نجد في تعامل الخليفة علي بن أبي طالب مع عماله وموظفيه كل معاني الحكم الإسلام ومقاصده وقيمه التي لن نجد مثيلاً لها في أي نظام آخر.

لقد سلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل السبل في تنظيم شؤون الحكم، من حيث تحديد المهام وتوزيع الاختصاصات، ووضع المعايير والشروط المناسبة لكل مسؤول، بما يتناسب مع مصالح الناس.

فقد نصب ابن عباس والياً على البصرة، ونصب زياداً على الخراج وبيت المال، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع، وهذا قمة الضبط الإداري، فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة، وابن عباس يطيع زياد في إطار عمله في بيت المال والخراج، أما لشؤون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي[1].

الفكر السياسي في الرقابة على الولاة وإدارة الأقاليم والسياسة الخارجية عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

---

1) انظر: تاريخ الطبري، 80/6 وما بعدها، والكامل لابن الأثير، 222/3 وما بعدها.

تتجلي أهم ملامح الفكر السياسي عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من خلال عهده الذي كتبه لمالك بن الأشتر عندما ولاه على مصر، وقد جاء في هذا العهد : (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه ، حين ولاّه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه ، من فرائضه وسننه ، التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنّه جل اسمه، قد تكفّل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه . وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإنّ النفس أمارة بالسوء، إلاّ ما رحم الله.

ثمّ اعلم يا مالك! إنّي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنّما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عمّا لا يحل لك، فإنّ الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت.

وأشعِر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبّة لهم ، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطإ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك! وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم.

ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنّه لا يدَ لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن: إنّي مؤمر آمر فأطاع، فإنّ ذلك ادغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرّب من الغير، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته ، فإنّ الله يذل كل جبّار، ويهين كل مختال. أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنّك إلا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإنّ سخط العامّة يجحف برضا الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة.وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصّة

وإنّما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء، العامّة من الأمّة ، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم. وليكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يضح لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإنّ الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين . ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظن بالله.

إنّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنّهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممّن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً

فاتخذ أولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك ، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع. والصق بأهل الورع والصدق ، ثمّ رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة! وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبله. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإنّ حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة ، واجتمعت بها الألفة ، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أنّ الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حدّه فريضة في كتا به أو سنّة نبيه (ﷺ) عهداً منه عندنا محفوظا.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية ، وزين الولاة، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلاّ بهم ، ثم لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدّوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم . ثمّ لا قوا م لهذين الصنفين إلاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجّار وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثمّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل ، فوّل من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممّن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء ، وممّن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثمّ الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثمّ أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنّهم جماع من الكرم، وشعب من العرف.

ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك ، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو ، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية.
وإنّه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلّة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم، فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، والسلام على رسول الله (ﷺ) وآله الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً، والسلام) (1)

ومن خلال هذه الوثيقة العظيمة التي تعد أنموذجا جليلا في الشوري والعمل المؤسسي يلخص د. الصلابي أهم جوانب الفكر السياسي عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من خلال رقابته على الولاة ومنحهم بعض الصلاحيات والمهام ورسم منهج الفكر السياسي في الشؤون الداخلية والخارجية، ومن ذلك(2):

1. **تعيين وزراء الولاية**: يقول أمير المؤمنين في عهده لمالك بن الأشتر : "إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، ويبين عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمه، ولا آثمًا على إثمه، أولئك أخف عليك مئونة، وأحسن لك معونة، وأحنى لك عطفًا، وأقل لغيرك إلفًا".

ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

أ. تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي.
ب. الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها.
ج. طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير.
د. وظيفة الوزير.

2. **تشكيل مجالس الشورى**: وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد ورد في حقهم هذا النص : "وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك".

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة، ويمكن أن يجرى تعيينهم من قبل الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين على طبيعة تشكيل هذه المجالس، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه : وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء. أما كيف تم جمعهم؟، فهل اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمني ن، بل تركه معلقًا حسب الظروف التي تتحكم في طريقة تعيينهم، إما باختيار الوالي أو انتخاب الناس، وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدارسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

أ. تثبيت ما صلح عليه البلاد.
ب. إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي.

---

1) نهج البلاغة، لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع وترتيب: العلامة الشريف الرضي، مؤسسة المعارف، بيروت، 1990م، ص 621 وما بعدها.
2) انظر: أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب، د. علي محمد الصلابي، ص 477 وما بعدها.

وهذا يعنى وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال أو تعيين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجار وصناع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدولة التي يقوم نظامها على اللامركزية.

وفي موضع آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين : "ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف".

وذكر أمير المؤمنين (ﷺ) أهمية الاهتمام بهم وبتفقد أحوالهم وأمورهم، فقال : "ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفًا تعاهدتهم له وإن قل؛ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك. ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمه، فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به، وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه".

3. **إنشاء الجيش وتجهيزه** : قال أمير المؤمنين علي (ﷺ) لمالك بن الأشتر في العهد المذكور : "وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم، ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم همًا واحدًا في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك".

والذي يظهر من هذا النص:

أ. لابد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب. تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسؤولية الوالي، ويجرى الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

ج. تعيين رؤساء الجند من مسؤولية الوالي، وهناك شروط على الوالي يجب العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلابد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم همًا واحدًا في جهاد العدو؛ "فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك".

4. **ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم** يقول أمير المؤمنين علي لواليه مالك الأشتر : "ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريمًا يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا إدخال ولا مدالسة، ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساحه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة، فلا تستقبل فيها دنياك ولا أخرتك".

واستناداً لهذا النص يقوم الوالي بـ:

أ. عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

ب. أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة، وبين هذين الأمرين تجرى مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات.

ج. الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب ع لى كل مسلم أن يلتزم بها، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين على مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكًا عمليًا في حياته، وقد حذر الله من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية.

5. **الحفاظ على الأمن الداخلي:** وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: "أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارًا وجفوة، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء"[1].

وتأتى هذه السياسة للحفاظ على الأمن الداخلي، فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكلات بطرق سلمية بعيدة عن استخدام القوة رافضًا سياسة الاستقواء على الشعب.

وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويهونه، بل يزيله وينقله.

6. **تشكيل الجهاز القضائي في الولاية** يقول أمير المؤمنين علي (ﷺ) لواليه مالك بن الأشتر : "ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تفيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء.. وأفسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، ليأمن بذ لك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً.

7. **النفقات المالية :** المصدر لتمويل النفقات في الولاية أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفيء والخراج والعشور، وتوضع في بيت المال وهو المحل الذي يجتمع فيه بيت مال المسلمين، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما ي صله من أموال، وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولاً إنفاقه على شؤون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار .. إلخ. وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة.

قال أمير المؤمنين: "وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة".

8. **متابعة العمال التابعين للولاة:** قال أمير المؤمنين: "ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء، أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقًا وأصح أعراضًا، وأقل في المطامع إشرافًا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرًا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم.. وتحفظ من الأعوان، فإنْ أحد منهم بسط يده إلى الخيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدًا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.

---

1) نهج البلاغة، ص555.

9. **مراعاة طبقات المجتمع**: قال أمير المؤمنين : "واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال ا لإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله سهمه، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه، عهدًا منه عندنا محفوظًا .. إلى أن قال : ولا قوام لهم جم يعاً إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونه من الترفق بأيديهم مالا يبلغه وفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم.

ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيراً فقال: "ثم استوص بالتجار وذوى القناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منها، والمضطرب بما له، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجُلاَّبها من المباعد والمطارح في برك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكل به، وعاقب في غير إسراف".

10. **التربية بالعقاب والثواب قال أمير المؤمنين علي** : "ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإسا ءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه، واعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن راعٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قِبَلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده"

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة للمحسن ليزداد في إحسانه، وتفجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير، وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده، حتى يترك الإساءة.

أهم مفاهيم الفكر السياسي عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

ويمكن إجمال أهم معالم الفكر السياسي عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فيما يأتي:

1. **التأكيد على العنصر الإنساني**: كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله : "أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة.. فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله"[1].

فكان على المسؤول ملاحظة الأوضاع النفسية لمرءوسيه، وأن يضع إستراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني، ولا تراعي تأثيرات الظروف.

1) نهج البلاغة، ص555.

2. **مراعاة عامل الخبرة والعلم** : في هذا النطاق يؤكد أمير الم ؤمنين (رضي الله عنه) على أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: "عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته، فإذا كان جاهلاً فإنهم معذورون فلا طاعة للجاهل؛ لأنه يأخذهم إلى الهلاك. ويقول أيضاً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق بأمر مخالف"[1].

3. **العلاقة بين الرئيس والمرؤوس** : هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرؤوسين، يقول أمير المؤمنين لواليه مالك بن الأشتر فـي عهده إليه: "ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك".

ونحن هنا أمام حالة أُلغي فيها التسلسل الوظيفي إلغاء تامًا، وإذا لم يقدر الوالي على القيام بهذه المهم ة فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول : "وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم".

وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التي ترى أن كل شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإداري، ولاحق لأحد في إلغاء هذا التسلسل، ومن يُلغِ ذلك يُعد متجاوزًا للتنظيم.

ثم بين أمير المؤمنين مضار التقيد غير المسؤول بالتسلسل الوظيفي : "فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور، والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه؛ فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل".

هذه هي مضار التسلسل الإداري والتقيد الحرفي به، فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسؤول إلى مسؤول، ومنه إلى مسؤول ثالث، فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين، هذه السلسلة التي تجرى بعيدًا عن مباشرة الرئيس الأعلى قد تغير الأمور وتقلبها رأساً على عقب، فيصبح الصغير كبيراً والحق باطلاً، والحسن قبيحًا والقبيح حسناً، كما يقول أمير المؤمنين (رضي الله عنه)، وهو ما تعاني منه التنظيمات البيروقراطية؛ لأنها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا، فتنحرف عن أهدافها ومراميها، والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين علي هو ألا يحتجب المسؤول عن أفراده، فاحتجابه يتسبب في تغيير قراراته أو تطبيقها في أحسن الظروف تطبيقًا متحجرًا بعيدًا عن الأهداف التي طمح من أجلها، ومهمة الرئيس ليست محصورة في لقاء المرؤوسين، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التي تجعل المرؤوس قادرًا على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف؛ لأن الغاية ليست هي المقابلات الفجة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيدًا، فلابد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول في ذلك: "واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرغُ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع ".

4. **مكافحة الجمود** : هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود، وإضاعة الوقت والجهد، وإضاعة الحقوق، كم ا أن كثيراً من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساساً؛ لأنها تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين (رضي الله عنه): "من أطاع التواني ضيع الحقوق".

---

1) نفسه، ص717.

5. **الرقابة الواعية :** الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري، فقد نوه أمير المؤمنين (ﷺ) إلى هذه الوظيفة فقال: "وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية".

فالرقابة عند أمير المؤمنين هي عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة، كما أن الرقابة لابد أن تتم عبر وسائط من أهل الصدق و الوفاء حتى يكون تقييمهم عادلاً لا تتلاعب فيه أهواؤهم، فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص في العمل.

6. **التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:** في هذا المجال أكد أمير المؤمنين علي في عهده لواليه على مصر: "ثم انظر في أمورعمالك فاستعملهم اختبارًا ولا تولهم محاباة وأثرة".

فلابد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما، ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية في توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العالية، ثم يقول: "ثم انظر في حال كُتابك، فولّ على أمورك خيرهم".

وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف، فالمعيار هو الحق، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة.

7. **حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة:** إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا أمعنا النظر في رسالة أمير المؤمنين لمالك الأشتر النخعي لوجدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله: " ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ قي عواقب الأمور نظراً".

فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة في العمل فقط، بل لابد من ملاحظة العامل من النواحي النفسية والاجتماعية أيضاً، حتى لا يأخذه الطموح ولا تتغير نواياه وأغراضه، كما لابد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسؤولية الوالي: "ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك".

فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفي مكان آخر يقول: وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك.

8. **الضبط الإداري:** ففي كتاب أمير المؤمنين (ﷺ) إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم : "وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك "[1]. فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري - في هذا النص - أمانة، ويجب على المسؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي، وأن يحافظ عليها، وأنه مسؤول أمام الله على أدائها، ومسؤول أمام رئيسه "من فوقه " اعترافًا بأهمية التسلسل الوظيفي، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإداري الذاتي الذي يمنع مظاهر التسيب والانحراف.

9. **المشاركة في صنع القرار :** إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحث على المشاورة لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة في صنع القرار، وأن لا

1) نهج البلاغة، ص542.

ينفرد رجل واحد في صنع القرار؛ فـ"الشركة" في الرأي تؤدي إلى الصواب؛ لأنها مشاركة جمع من العقول، وإضافة آراء ذوى الخبرة والتجربة، يقول أمير المؤمنين : "لا ظهير كالمشاورة"[1].

لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة بل وضع أمامنا قاعدة عامة، وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانًا من الميادين عن المشورة، وهذا يعنى أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل منوطاً بمجموعة من الأشخاص وليس فرداً واحداً، وإذا أمعنا النظر في هذا النص : صواب الرأي بإحالة الأفكار لاتضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوى الشأن للوصول إلى القرار الصائب.

10. **مشورة ذوي الخبرات**: فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعي أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتل قى الخبرة ممن سبقه، والذي سبقه ممن سبقه. وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين : "خير من شاورت ذوو النهى والعلم، وأولو التجارب والحزم"[2]، فهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح في الحياة، ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقي المستمر.

11. **الإدارة الأبوية:** الوالي هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبناؤه، فمثلما يحتمل الأب تربية أبنائه، كذلك يتحمل مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة . يقول أمير المؤمنين لمالك بن الأشتر : "ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما". فيجب أن يتعامل المسؤول مع أفراده معاملة الوالد لولده يرعاه، ويعفو عنه عندما يسيء، وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له.

المبحث الثاني ملامح الفكر السياسي في فترة الخلافة الأموية

ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بن و أمية مع بني هاشم، وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة، لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش.. وجميع قريش تعرف ذلك وتسلم لهم الرياسة عليها

وقد طبقت الدولة الأموية مبادئ وأسس الشريعة الإسلامية واستمدت نظامها السياسي من تعاليم الكتاب والسنة[3]. وفيما يلي استعراض لأهم ملامح الفكر السياسي في الخلافة الإسلامية.

اعتماد الفكر السياسي للأمويين علي أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية

تمت مبايعة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بعد تنازل خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما- فأصبح الخليفة للدولة الإسلامية، وكان الفضل لله (عز وجل) ثم للحسن بن علي بن أبي طالب؛ إذ وضع مشروعاً إصلاحيا كبيراً خضع لمراحل، وكانت له دوافع وتم على صلح واضح الشروط، ومن ضمن هذه الشروط العمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ولم يكن معاوية بن أبي سفيان ممن يجهل فوائد الشريعة والأخذ بها، وما كان يصدر في المهمات إلاّ عن مشورة من ذوي الرأي، ووجوه الناس، وأشراف القوم، وأهل العلم، وكانت المرجعية للإسلام .

---

2) نفسه، ص 692.

1) غرر الحكم ودرر الكلم، للآمدي، 428/3.

2) انظر: النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي المكي، 2/3

وقيادة معاوية للدولة لم تكن فردية خالصة، فاللامركزية في الحكم والإدارة هي الأغلب، ومشاركة الرجال من أهل الرأي والخبرة في حمل المسؤولية والقيام بأعباء الدولة في السلم والحرب وفي المركز والولايات.

ووجود الإسلام في حياة الفرد والمجتمع والدولة سلوكاً ونظام حكم منذ عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين قلّل من مظهر القيادة الفردية ومساوئها، وعزز مظهر الشورى، وغلبة الاتجاه العام الثابت في السياسة، والقيادة، والإدارة، وتصريف الأمور، ورعاية المصالح، كما أنّ تحوّل الخلافة الراشدة إلى ملك وراثي لم يكن يعني تحوّلاً كاملاً عن شورى الراشدين، أو ارتداداً عن أوامر الإسلام ومنهجه في الحكم، ولقد بقيت في عهد معاوية والعصر الأموي، كما يقرر ابن خلدون: تغالي الخلافة من تحري الدين ومذاهبه، والجري على مذاهب الحق، ولم يظهر التغيّر إلاّ في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفاً، وهكذا كان الأمر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك، والدولة الأموية لها حسنات ولها سيئات، ولم تكن خصماً للشريعة، ولا معطلاً لأحكام كتاب الله تعالى ولا لسنة النبي (ﷺ)[1].

القضاء في العهد الأموي:

كان العهد الأموي - وخصوصاً عهد معاوية - امتداداً للعهد الراشدي في عدة جوانب؛ فبقي كثير من الصحابة إلى العهد الأموي، وشاركهم في العلم والفقه والقضاء، وغيرها كبار التابعين، ثم صغار التا بعين، كما بقي بعض قضاة العهد الراشدي يمارسون القضاء في العهد الأموي، وبعضهم طال قضاؤهم كشريح بن الحارث رحمه الله، وبقيت في العهد الأموي آثار التربية الدينية وسمو العقيدة، وآثار الإيمان والالتزام بالدين والتقيد بالأحكام الشرعية.

وظهر في العهد الأموي عدد كبير من المجتهدين الذين كانوا صلة الوصل بين الصحابة والمذاهب الفقهية، وكان العلماء والمجتهدون في العهد الأموي أساتذة لأئمة المذاهب التي ظهرت في العهد العباسي، وكان لهذه الصورة الفقهية الزاهية أثرها الكبير والمحمود على حسن سير القضاء والعدالة في العهد الأموي، وظهر التوسع بالاجتهاد كما بدأت حركة تدوين العلوم الإسلامية والانفتاح على الحضارات الأخرى وترجمة الثقافات والعلوم من الأمم المجاورة، وكان القضاء في العهد الأموي مستقلاً عن أي سلطة أخرى حتى سلطة الخليفة أو الوالي، وما على الخلفاء أو الولاة إلاّ تنفيذ الأحكام التي يصدرها القضاة، واعتمد القضاة على المصادر نفسها التي جرى عليها القضاء في العهد الراشدي، وذلك بالالتزام بالكتاب والسنة والإجماع والسوابق القضائية، والاجتهاد مع الاستشارة، وكان الالتزام بالقرآن والسنة هو الأساس، وهو ما تلتزم به الخلافة، وتتم عليه البيعة، وكان القضاة مجتهدين في إصدار الأحكام القضائية، ولهم الحرية المطلقة في استنباط الأحكام من القرآن والسنة ومقاصد الشريعة، ولم يتقيدوا برأي الخلفاء[2].

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الأموية

كانت الفتوحات في عهد الدولة الأموية كبيرة جداً؛ إذ قامت الدولة مع حركة الأمة الواسعة بدورها الرسالي، فكانوا ينشرون الهدى في مكان الضلال، والنور في محل الظلام، وينشرون العبودية الصحيحة لله في مكان المعبودات الزائفة للحكام والكهنة والأوثان، ويحررون المستعبدين في الأرض، ويردون إليهم إنسانيتهم الضائعة، ويرفعونهم إلى ا لمكان اللائق بالإنسان، وكانوا ينشرون قيماً من العدل والأخوة والتسامح والتكافل للبشرية لم تسمع بها من قبل، ولا رأتها من بعد في غير الإسلام، وينشرون حضارة حقيقية شاملة شامخة، ولو لم يكن الفاتحون مسلمين حقاً، بمعنى الإيمان بهذا الدين وممارسته في عالم الواقع والتمكين منه عقيدة وسلوكاً وحركة ما حدثت

---

1) انظر: الدولة والمجتمع في العصر الأموي، دراسة الشبهات ورد المفتريات، حمدي شاهين ص128
1) انظر: رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي، د. محمد رأفت عثمان، ص356

هذه الفتوحات الكبرى في عهد الدولة الأموية خصوصاً في الشمال الإفريقي، وحتى الأندلس وبلاد المشرق وخراسان وما حولها وغيرها من الفتوحات.

إن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) حمى وعزز منجزات الموجة الأولى من حركة الفتح الإسلامي التي قادها وخطط لها الخلفاء الراشدون، فالموجة الثانية لحركة الفتوح هي التي بدأت في عهد معاوية نفسه، واستمرت فيما بعد لكي تبلغ أقصى اتساعها في عهد الوليد بن عبد الملك.

ولقد كان معاوية (رضي الله عنه) يملك فكراً إستراتيجياً في إدارة الدولة وتطوير مؤسساتها فقد طوّر المؤسسة العسكرية وخصوصاً الأسطول البحري بحيث أصبح رادعاً لأسطول الدولة البيزنطية، وضيّق الخناق على الدولة البيزنطية بالحملات المستمرة براً وبحراً، وقد أرهق البيزنطيين، وأذاقهم ألوان الفتك والخوف، وأنزل بهم خسائر فادحة، وواصل معاوية فتوحاته في الشمال الإفريقي، وانطلقت حملة معاوية (رضي الله عنه) في عهده، وبرز اسم عقبة بن نافع في تلك الفتوحات، وقام ببناء مدينة القيروان بتونس اليوم، وكان ذلك في عهد معاوية، وقد أصبحت القيروان مركز الإشعاع الحضاري الإسلامي بالمغرب وعاصمتها العلمية، وقد خضعت حركة الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموي لأحكام الشريعة الإسلامية، وإن كان هناك بعض التجاوزات في معاملة الرعايا كما حدث في عهد عبد الملك على يد الحجاج بن يوسف الثقفي[1].

الحكم من الشورى إلى الوراثة في عهد معاوية:

لم ينصّ التشريع الإسلامي على طريقة معينة لاختيار ولي الأمر، ولكنه وضع الأساس الذي لا تجوز الحيدة عنه، إلاّ في حالات الضرورة والاضطرار وهو الشورى، وليس للشورى أسلوب خاص أو طريقة واحدة لا تتحقق إلاّ بها، ولكن تتحقق بأساليب شتى، كما بينت في كتب عن الخلفاء الراشدين، ولئن قصد معاوية (رضي الله عنه) بإحداث ولاية العهد في نظام الحكم الإسلامي جمع كلمة المسلمين وحقن دمائهم إلاّ أنه كان قادراً على أن يجعل العهد بعده لغير ولده من كبار الصحابة الموجودين في تلك الفترة، وكان فيهم كفاءات لو أُسند إليهم الأمر، فقد كان الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر (رضي الله عنه) وغيرهم موجودين في هذا الوقت، ولكن معاوية (رضي الله عنه) عدل عن هؤلاء، وقصد ولده ليكون خليفة من بعده، وبذلك حصل التغيير الحقيقي في نظام الحكم الإسلامي فليس التغيير في إيجاد نظام ولاية، ولكن التغيير في أن يكون ولي العهد هو ولد الخليفة أو أحد أقاربه، حتى أصبحت حكو مة ملكية بعد أن كانت خلافة راشدة، وإذا كنا مأمورين باتباع سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فإن التزام نظام الوراثة ليس من سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا من سنة خلفائه الراشدين، كما أن ترشيح يزيد لم يكن موفّقاً لأسباب منها:

1. أن المجتمع الإسلامي يوم ئذ كان فيه من هو أحق وأولى بالخلافة من يزيد في سابقته وعلمه ومكانته وصحبته، كعبد الله بن عمر، وابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهم وغيرهم، فأين الثرى من الثريا.
2. ومنها: مبدأ توريث الحكم من الأب لابنه، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة، فإنهم لا ينزهون معاوية، ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون إن للذنوب أسباباً تدفع عقوبتها، من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة وغير ذلك، وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم، ومعاوية (رضي الله عنه) من خيار الملوك الذين غلب عدلهم ظلمهم، وما هو ببريء من الهنات، والله يعفو عنه، والذي يجب أن نعتقده في معاوية أن قلوبنا لا تنضوي على غلٍّ لأحد من

1) انظر: العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبدالشافي محمد عبداللطيف، ص256 وما بعدها

أصحاب الرسول (ﷺ) بل نقول (وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوف رَّحِيمٌ).[1]

ونقول بأن معاوية اجتهد للأمة خوفاً عليها من الانقسام والفتن، ولا يمكن أن يُحمّل تبعات كل أخطاء الملوك والأمراء الذين جاؤوا من بعده، كما قرر بعض الباحثين، وإذا كان معاوية قد حول الخلافة من الشورى إلى الملك، فإن حفيده معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثالث خلفاء الأمويين قد أعاد الخلافة من الملك العضوض إلى الشورى الكاملة، وإنه من الإنصاف أن تُصاغ القضية على هذا النحو، بدلاً من التركيز على الشق الأول الخاص بتوريث الخلافة فقط، ولم تستطع الأمة التي أعطيت حقها في اختيار خليفتها أن تعود إلى شكل من أشكال الاختيار السابق في عصر الراشدين، وبرز بوضوح دور العصبية الإقليمية والقبلية، وحسم في النهاية الصراع الدائر حول منصب الخلافة لمصلحة البيت الأموي، واستطاعت الشام أن تحقق الحسم التاريخي بعمق الالتحام بين بنائها القبلي والوجود الأموي بها. وقد حاول بعض الناس أن يلفقوا على معاوية (رضي الله عنه) تحسّره من بيعة يزيد، فنقلوا عنه أنه قال : (لولا هوايَ في يزيد لأبصرت رشدي)، والسند من طريق الواقدي، وهو متروك، ونسبوا إليه أيضاً أنه قال ليزيد: (ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك)، والسند من طريق الهيثم بن عدي، وهو كذّاب ولقد اعتمد بعض الكُتّاب على هذه الروايات ، وتحامل على معاوية تحاملاً قاسياً، ولقد تورّط الكثير من الباحثين في الروايات الضعيفة والموضوعة فيما يتعلق بتاريخ صدر الإسلام نتيجة لجهلهم بعلم الجرح والتعديل، وبنَوْا عليها تصورات وأفكاراً وأحكاماً تحتاج إلى إعادة نظر من جديد.

ومع ما وقع من انحراف في تغيير النموذج الأعلى لنظام الحكم الإسلامي الذي تتمثل فيه روح الإسلام كاملة، وهو الخلافة واستبدال الملك العضوض به إلاّ أن الطابع الإسلامي هو الصفة الغالبة على مظهر الدولة، وتصرّفات الحكام، فالصلاة تُؤدّى في أوقاتها، والزكاة تُحصّل من أربابها، والصوم فريضة لا يُعارض في أدائها، وإقامة الحدود والقصاص دون هوادة لم يقف شيء دون تنفيذها، والجهاد في سبيل الله فريضة ماضية ب ين رجالها، وبالجملة كانت تعاليم الإسلام مطبقة بحذافيره ا[2].

ملامح الفكر السياسي في فترة الخلافة العباسية

سميت الدولة العباسية بهذا الاسم، نسبة إلى العباس عم الرسول (ﷺ)، فمؤسس الدولة العباسية وخليفتها الأول هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ)، وقد استمرت الخلافة العباسية في استمداد أصول الفكر السياسي من مبادئ الشريعة الإسلامية، كما تميزت الدولة العباسية بقيام نهضة علمية كبرى أفرزت مدارس علمية وتجديدا غير مسبوق في علوم الشريعة الإسلامية. وفيما يأتي أهم ملامح الفكر السياسي عند العباسيين.

الدعوة إلى الإصلاح :

لقد رفع العباسيون شعار الدعوة إلى الإصلاح، والتمسك بالكتاب والسنة، والمساواة بين الشعوب، وإنصاف الشعوب التي أسلمت واندمجت في الحضارة الإسلامية، وهذه الشعارات تُعدّ من صميم أهداف الشريعة الإسلامية، وتدل على معنى خاص في ديننا، وهو عدم التفرقة بين

1) سورة الحشر: آية 10.
2) انظر: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، د. علي الصلابي، ص437

الناس بحسب ألوانهم أو دمائهم أو تاريخهم، وبيان أن أكرم الناس عند الله أتقاهم . وقد تمسك العباسيون بهذا المبدأ، وشنعوا به على بني أمية، وزعموا في حملتهم الدعائية أن بني أمية انحرفوا عن هذا المبدأ الإسلامي الأصيل وحاولوا أن يبينوا للناس أن قضيتهم هي قضية جهاد الحق ضد الباطل[1].

المرجعية الشرعية للدعوة العباسية

تعتبر مدرسة عبد الله بن عباس المكية هي المرجعية الشرعية لهم، فقد اهتم ابنه علي بن عبد الله بن العباس بتراث أبيه وعلومه، وقد ألزم ابنه محمداً وهو من زعماء الدعوة العباسية أصحاب جده ابن عباس، حتى تعلم وفقه وجلس يوماً يفتي في المسجد الحرام بمثل فتيا جده، وقد أبهرت فتواه سعيد بن جبير (رضي الله عنه) حين سمعه فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني رجلاً من ولد ابن عباس يفتي بفتواه . والمعلوم لدى الباحثين أن عبد الله بن عباس تقدم في التفسير بسبب عوامل متعددة منها: دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) له بالفقه في الدين والعمل بالتأويل، وكذلك قرب منزلته من عمر (رضي الله عنه)، والأخذ عن كبار الصحابة، وقوة الاجتهاد، وقدرته على الاستنباط، قدرات ابن عباس التربوية والتعليمية، ورحلاته وأسفاره ووفاته، وكان ابن عباس م ن علماء المدرسة المكية، وقد تميزت هذه المدرسة من بين المدارس بكثرة تناولها للآيات وتفسيرها، وساهمت مساهمة قيمة في الإبانة عن كثير من المعاني التي يحتاج إليها، ويرجع ذلك لأسباب عديدة منها : إمامة ابن عباس للمدرسة، الأثر المكاني للمدرسة كونها بمكة، وكثرة رحلا تهم وأسفارهم، وحرصهم على نشر علمهم، والتصنيف والتدوين المبكر لآثار المدرسة[2].

أخذ البيعة

عندما أعلن العباسيون الثورة على الأمويين أخذوا البيعة من الناس على مبادئهم، والتي كانت العمل بالكتاب والسنة، وتحقيق العدل، ورفع الظلم، والمساواة بين المسلمين، وإنصا ف المستضعفين، والبيعة للرضا من آل محمد. وعندما خطب داود بن علي عم العباس في أهل الكوفة خطبة جاء فيها: فلكم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة سيرة رسول الله .. وليس معنى هذا أ ن العباسيين التزموا بأحكام الله تامة وإنما مرجعية الدولة ودستورها هو الإسلام، وحدث ضمور في الفقه السياسي المتعلق باختيار الخليفة؛ إذ جعلوها وراثية في بني العباس، إلاّ أن تحكيم الشريعة في باقي مناحي الحياة كان حاضراً، والدليل على ذلك ظهور المدارس الفقهية الأربعة وكتابة كتب الحديث التي كانت في العهد العباسي[3].

التأكيد على المظاهر الإسلامية للخلافة والعناية بعلوم الشريعة

قامت الدولة العباسية على فكرة الإسلام وتطبيق أحكامه، وقد قال أبو جعفر المنصور لابنه المهدي: إن الخليفة لا يصلحه إلاّ التقوى، والسلطان لا يصلحه إلاّ الطاعة، والرعية لا يصلحها إلاّ العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً مَن ظلم من دونه.

وكان المنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والعزل والنظر في المصالح العامة.

---

1) انظر: تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص 16 وما بعدها.

1) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، 172/8.

2) انظر: تاريخ الرسل والملوك، للإمام الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 484/4 وما بعدها

وقد اهتم العباسيون بالعدل، وأخذ مجراه بين الناس من خلال مؤسسة القضاء التي تطورت في ذلك العهد، وأحاط العباسيون القاضي باحترام كبير؛ فهو عمود السلطات وقوام الدين، وقد تجلت هيبة القضاء في عهد الخليفة المهدي الذي كان يجل القضاة، ويحترم مجالسهم، ويحرص كل الحرص على أن يكون القاضي نزيهاً بعيداً عن التأثر بذوي الجاه والسلطان، وألاّ يحابي أحداً مهما كانت منزلته وإن كان الخليفة نفسه .

لقد اشتهر أبو جعفر الخليفة المنصور قبل تأسيس الدولة العباسية بتردده عل ى حلقات المساجد وطلب العلم والفقه والآثار؛ فقد كان مقدماً في علم الكلام، ومكثراً من كتابة الآثار وكان صاحب معرفة بالفقه والفقهاء، مما مكنه لاحقاً من التعامل بطريقة مناسبة مع الفقهاء واستقطابهم للدولة الناشئة.

وقد شهدت الدولة العباسية ، وبخاصة العصر العباسي الأول ، نهضة علمية وثقافية غير مسبوقة في علوم الشريعة، فازدهر التصنيف والتأسيس في العلوم المختلفة كالفقه والتفسير وعلم الكلام وعلوم الحديث وعلوم العربية[1].

القضاء في العهد العباسي

اهتم أبو جعفر المنصور بالقضاء بشكل ملحوظ، فكان أول خليفة يعين القضاة بعد أن كان هذا الأمر موكولاً إلى ولاة الأمصار، فقد قال الخطيب البغدادي: إن ولاة الأمصار كانوا يستقضون القضاة، ويولونهم دون الخلفاء قبل أبي جعفر المنصور. فلماء جاء أبو جعفر قام بتعيين القضاة بنفسه على اعتبار أن هذه الوظيفة من مهام الخليفة .

وقد قال المنصور لما عين عبيد الله بن الحسن العنبري قاضياً على البصرة : إني قد قلدتك طوقاً مما قلدني الله طوقاً.

ومن الفقهاء الذين قام المنصور بتعيينهم بنفسه .. الحسن بن عمارة، وشريك بن عبد الله النخعي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبيد الله بن الحسن العنبري .

ومن الحوادث في تاريخ القضاء في عهد المنصور أن أحد القادة الميدانين للخليفة أبي جعفر المنصور اختصم مع أحد التجار في قطعة أرض في البصرة، فلما مثلا أمام القضاء - وكان القاضي يومها في البصرة سوار بن عبد الله حكم القاضي- حكم بأن الأرض للتاجر، وليست للقائد فدفع القائد شكواه إلى أمير المؤمنين المنصور، فكتب المنصور إلى القاضي سوار يطلب منه أن يرد الأرض إلى القائد، فكتب إليه القاضي: يا أمير المؤمنين ،إن البينة قد قامت عندي أن الأرض للتاجر، فلست أخرجها من يديه إلاّ ببينة ودليل، فكتب إليه المنصور لتدفعنها إلى فلان القائد، فرد القاضي برسالة قصيرة كتب فيها: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجها من يدي التاجر الفلاني إلاّ بحق، وقد قام ت البينة عندي أنها للتاجر، فلما جاء كتاب القاضي إلى الخليفة المنصور تبسم المنصور، وقال: ملأتها والله عدلاً .الحمد لله الذي صار قضاتي تردني إلى الحق، وأظهر أبو جعفر المنصور أهليته العلمية من خلال اهتمامه بالشؤون القضائية، فقد أراد شريك بن عبد الله النخعي على القضاء، فاعتذر شريك بأنه لا يحسن ذلك، فما كان من المنصور إلاّ أن قال له :اذهب فأنفذ ما أحسنت، وتكتب إلي فيما لا تحسن[2].

رغبة العباسيين في تولية العلماء المسؤولية وولاية أمور البلاد والعباد :

سافر أبو جعفر المنصور إلى أماكن عدة من أرض الخلافة يتفقد أحوال الرعية، وكان يلتقي في كل مدينة بعلمائها وأثناء رحلته في يوم من الأيام. ودعه الإمام الجليل المعروف بالإمام ليث بن سعد الفقيه المحدث – عند بيت المقدس فقال المنصور – عند وداعه: يا إمام، أعجبني ما رأيت من

1) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، 228/3 وما بعدها

1) انظر: الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 201/2

عقلك، ولقد فرحت إذ أبقى الله في الرعية مثلك، ثم قال : ألا تدلني على رجل أجعله والياً على مصر؟ فسكت الليث قليلاً، وقبل أن يذكر له اسم أحد العلماء العاملين المعروفين بحكمتهم وحسن إدارتهم. قال المنصور : فما يمنعك أنت يا أمام أن تكون والياً على مصر؟ فقال الليث : يا أمير المؤمنين، أنا لا أقوى وأنا ضعيف، ولا يجوز لك أن تولي الضعفاء ومن ليسوا أهلاً للولاية، فتبسم المنصور وقال: بل أنت قوي ولكن ضعفت نيتك في العمل في هذا الأمر.

وعُني المهدي بأمر القضاء، فكان إذا جلس للمظالم قال: أدخلوا علي القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إلاّ حيائي منهم لكفى .

واقتفاء لأثر أبيه كان المهدي يعين القضاة بنفسه . وقال المهدي لسفيان الثوري : اصحبني حتى أسير فيكم سيرة العمرين. وفي رواية أخرى خلع خاتمة وقال له: هذا خاتمي فأعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة .كما عرض عليه أن يتولى القضاء إلاّ أنه رفض هذه العروض .

وعمد الخلفاء العباسيون إلى استشارة الفقهاء في بعض القضايا، فقد استشار الخليفة المهدي مالك بن أنس في إنقاص منبر رسول الله وإعادته إلى ما كان عليه .

ومن جهة أخرى كانت السلطة العباسية تستخدم القوة مع الفقهاء إذا ما ظهر منهم مواقف معارضة للسلطة، وقد أيدت مجموعة من الفقهاء السلطة العباسية، وتعاملت معها على أساس أنها دولة الخلافة صاحبة الشرعية الإسلامية، ونتيجة لذلك ارتبط عدد من الفقهاء بعلاقات ودية مع خلفاء الدولة العباسية، فقد كان الحجاج بن أرطأة من أصحاب أبي جعفر المنصور، ثم ضمه إلى ابنه المهدي فظل ملازماً له.

ونتيجة لهذه العلاقة الحسنة قدم هؤلاء الفقهاء المشورة والنصح للسلطة العباسية في القضايا التي تحتاج السلطة فيها إلى مساعدتهم، فكتب القاضي عبيد الله بن الحسن العنبري كتاباً إلى الخليفة المهدي اشتمل على عدد من النصائح في موضوعات متفرقة، أكد في بداية الكتاب على أهمية السلطة في حياة المسلمين، وضرورتها لما بها من نفع لهم، فمن خلالها تُطبق الأحكام فتسكن البلاد، وتستقر العباد، وبها تُحمى البيضة، ويُصدّ الأعداء وتُحمى الثغور، ثم ذكّر الخليفة بالحقوق الملقاة على عاتقه وجزيل الثواب الذي ينتظره في الآخرة إن هو أداها على الوجه الذي ينبغي وبعد ذلك عدد له الخصال التي يحملها الخليفة عن الأمة وهي: الثغور والأحكام والفيء والصدقة، فحثه على سد الثغور ومدها بأهل النجدة والشجاعة .

أما على صعيد الأحكام، فقد بين للخليفة مصدرها وهي الكتاب والسنة وإجماع الأئمة الفقهاء وأخيراً اجتهاد الحاكم مع مشاورة أهل العلم، وبالنسبة للفي ء والصدقة فقد نصح الخليفة بتحري العدل، والتخفيف عن أهل الخراج، وأن تُصرف الأموال في مصارفها الشرعية، وأن يقتفي الخليفة أثر الخلفاء الراشدين كعمر بن الخطاب في تحديد مصارف هذه الأموال، وأشار على الخليفة بتوسيع قاعدة الشورى.

وقد اهتم الخليفة الرشيد بشكل واضح بالقضاء، فكان يعين القضاة بنفسه، ويتابع أمورهم، فيعزل بعضهم، يستبدل بآخرين، ويرى الدكتور عبد الرازق الأنباري أن هذا الاهتمام الكبير من قبل الرشيد بالقضاء جعله يستحدث منصب قاضي القضاة ليلي هذه المهمة قاضياً كبيراً يتولى جانباً من مسؤوليات الخليفة في القضاء وبتخويل منه.

ومن منطلق العمل بالكتاب والسنة الذي نادت به السلطة العباسية ولتقريب الفقهاء إليها .. وقف الخلفاء العباسيون في وجه الحركات المبتدعة التي سعت إلى ضرب الإسلام والتشكيك فيه .

وكان الرشيد يستشير الفقهاء والعلماء في أمور الدولة الهامة، كما كانوا يشهدونهم على الكتب الهامة فقد أشهد القضاة والفقهاء على ما كتبة لأبنائه من بعده، ويُلاحظ اهتمام بالغ من قبل الخليفة الرشيد بالفقهاء، فكان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء، كما كان يستمع للمواعظ، ويبكي لذلك، وعندما سمع الرشيد بخبر وفاة الفقيه عبد الله بن المبارك استرجع، وأمر وزيره الفضل بن الربيع أن يأذن للناس بتعزيته لوفاه ابن المبارك.

كما كان الرشيد يطلب من بعض العلماء تدريس أبنائه، فقد كان يبعث أولاده محمد وعبد الله إلى الفقهاء والمحدثين، فيسمعون منهم ورحل الرشيد بولديه محمد وعبد الله لسماع الموطأ على الإمام مالك بن أنس، وكان هارون الرشيد يصحب العلماء والأولياء، ويحافظ على الصلوات والعبادات، ويصلي الصبح في وقته، ويغزو عاماً ويحج عاماً، وكان يتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم، ويصلي في كل يوم مئة ركعة .

وتتلمذ على علماء كبار، عرفوا بالورع والتعفف، أمثال : علي بن حمزة الكسائي أحد شيوخ القراءات السبع وإمام من أئمة الكوفة في اللغة والنحو والأخبار، وجالس في شبابه فقهاء عصره، كأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهما من القضاة ورجال الاجتهاد في الفقه الإسلامي، وبقي على صلته بهم حتى آخر أيامه.

وقد أجمع الرواة والمؤرخون على أنه كان من أرق الخلفاء وجهاً، وأكثرهم حياء، وأخشعهم قلباً، وأغزرهم دمعاً عند الموعظة الحسنة [1].

الفصل الرابع

قواعد الفقه السياسي عن المسلمين

يتكون هذا الفصل من:

أولًا: مدخل لدراسة قواعد الفقه السياسي.

المحث الأول: القواعد الفقهية السياسية (تعريفها - الحاجة إليها).

المطلب الأول: تعريف القواعد واستعراض جهود التقنين.

المطلب الثانى: لماذا القواعد/ وما مدى الحاجة إليها.

المبحث الثانى: العلماء الذين اشتهروا بتأصيل القواعد الفقهية عمومًا والسياسية خصوصًا.

- **مدرسة الصحابة (الإمام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)).**
- **مدرسة الرأى (الإمام ابو حنيفة النعمان_ رحمه الله_).**
- **مدرسة الإجتماع السياسي (الامام عبد الرحمن بن خلدون).**
- **مدرسة الحديث (الامام أبو اسحاق الشاطبي).**
- **مدرسة العقل والنقل (الامام ابن تيمية).**
- **المدرسة الجامعة بينالحديث والرأى أو مدرسة التأصيل السياسي (الامام أبي الحسن على بن محمد الماوردى).**
- **حجة الإسلام أبو حامد الغزالى، وعموم المدرسة الشافعية.**

مدخل لدراسة قواعد الفقه السياسي الإسلامى

من الجدير بالذكر أن قول ان قواعد الفقه السياسي الإسلامى لم تدون على الإطلاق، وما ذُكر منها مفسرًا أو مشروحًا سواء فى السِيَر أو فى كتابات الماورى أو ابن قتيبة، أو ابن تيمية، أو ابن خلدون، هذا كله كان اثراء ضخمًا لهذا العلم الغزير، إلا أنه لم يكن تأصيلًا وتقعيدًا يؤول إلى بناء منهج مرجعى وقواعد ضابطة تسير على خطاها الأجيال التالية.

---

1) انظر: تاريخ الخلفاء، لابن قتيبة، 157/2

ودليل ذلك ما تعيشه أمتنا -اليوم- من تخبط وارتباك شديد لعدم قدرة مؤسساتها العلمية والمنهجية والفكرية على صياغة قواعد يحتكم إليها الجمهور فى التعاطى السياسي، بل صدرت الفتاوى المستعجلة، وظهرت اتجاهات التكفير والغلو، بسبب عدم وجود قواعد منضبطة لعلم السياسة الإسلامية، تتربي عليها الاجيال، ويتعلمها الشبلب والفتيان.

وقد كانت هذه الفتاوى - والى اليوم- سببًا فى إحداث ارباك شديد للساحة الإسلامية، مما أفقدها القدرة والكفاءة على صياغة منهج منضبط فى التعامل مع الأخر، مع بقية ألوان الطيف فى المجتمع، وطبيعة التصارع أو التحاور الحضاري ومعرفة استحقاقاته.

كما أن هذا الجدل العقيم قد أفرغ مشروع الأمة من أهدافه الكبيرة، والتى من أهمهما العمل لتحقيق الشهود الحضاري للأمة ناكصًا بها الى الاستسلام لفكر الغالب.

ومن الملفت للنظر أن هذه الفتاوى كلها، وفى مثل هذه القضايا الخطيرة والحساسة والتى كانت إذا عرضت على إمام الهدى كالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، جمع لها أهل بدر وهم أهل سابقة ومعرفة وفقه وتجربة.

مثل هذه القضايا يتلاعب بها من ليسوا بأهل للبت فى مثل هذه القضايا المصيرية والحاسمة.

وإن كان علماء أصول الفقه قد حددوا شروط المفتى والمجتهد فى إطار العبادات والمعاملات، فإن شروط المجتهد والمفتى فى أصول السياسة الشرعية ينبغى أن تكون أهم وأكبر وأشد، إذ يُعد الاستعجال فيها أو عهدم الدقة فى موضوعها من قبيل الطامات الكبري التى تحمل الأمة كلها تبعات مسؤليتها، بينما يختص فرد أو مجموعة بتحمل الخطأ فى فتوى العبادة أو التعامل.

وأنطلاقًا مما سبق تبرز الحاجة الماسة للحديث عن قواعد الفقه السياسي الاسلامى من خلال تعريفها، وبيان مدى الحاجة إليها، واستعراض جهود تقنين تلك القواعد، وبيان أهم المدارس الفكرية التى أشتهر علماؤها بتأصيل القواعد الفقهية عمومًا والسياسية خصوصًا.

توطئة : لكل علم رواد ولكل فن رجاله، ولقد ظهر الاختصاص فى صحابة رسول الهدى(صلى الله عليه وسلم)، وإذا اردنا أن نحدد الذين برزوا فى تأصيل قواعد الفقه عمومًا وقواعد الفقه السياسي خصوصًا، ولك منذ عهد الصحابة الكرام وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، فإننا يمكن أن نحدد الآتى:

أولًا الإمام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

(مدرسة الصحابة) كانت أحاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، كلها قواعد شرعية ضابطة، بينما كانت الفترة التى شهدت خلافة الصديق (رضي الله عنه) فترة قصيرة فضلًا عن أنها شهدت قتال المرتدين لبناء استقرار الدولة الداخلى وتوسعها بالجهاد والفتح، لتشهد عصر بناء المؤسسات فى عهد الفاروق (رضي الله عنه)، مما سهل بناء القواعد والأصول، أى بما يطلق عليه بناء وتأصيل الثوابت والمنطلقات، سهل ذلك كله التفاف الصحابة الكرام حول الفاروق، وعلى رأسهم الإمام على كرم الله وجهه، وبقية أهل الرأى والمعرفة والاجتهاد، وكذلك عبقرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ومعرفته الإجتماعية والشرعية الفائقة بالرجال وشجاعته وجرأته بالحق، فضلًا عن الخلافة الطويل الذى سهل تشييد البناء المؤسسي عمومًا [1].

ولعل أن من الجدير بالذكرأنه لو لم يكن الاستقراء السياسي واقعًا ملموسًا -وهو الذي تم فى عهد أب بكر الصديق (رضي الله عنه) لما أمكن تحقيق البناء الذى تم فى عهد عمر (رضي الله عنه).

1) الفقه السياسي الإسلامى، د/ خالد العهداوى، دار الاوائل، دمشق، ط1(2003م)، ص46.

روى البخاري ومسلم فى صحيحهما عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أنه كان فيما مضى قبلكم من الامم ناس محدثون (أى ملهمون)، وإنه إن كان فى أمتى هذه فمنهم عم بن الخطاب) [1].

لقد كان عمر (رضي الله عنه) بما صاغه من مؤسسة شوري حاكمة قريبة من مصدر القرار، مؤصلًا لقواعد فقهية سياسية، رؤية ثاقبة تجلت بعض ملامحها فى الآتى:

1) تقديم استقرار الأمة ووحدتها على الرغيات الفردية، وتجلى ذلك فى ترشيح اهل الشورى من قبله ليبتوا فى الخليفة من بعده، ولم يرض أن يتولاها ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مع منزلته العلمية الرفيعة.

2) تقديم مصلحة الدولة على مصلحة الأفراد، ولو كانوا فاتحين، وقد تجلي ذلك فى عدم تقسيم سواد العراق، مستدلًا بقول الله تعالى(كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)[2].

3) طبيعة تداول السلطة تقوم على إختيار الأكفاء والأصلح، وقد تجلى ذلك فى اختيار وتحديد الستة المؤهلين للحل والعقد من كبار الصحابة.

4) ميزان الاجتهاد فى الاسلام يقوم على على الاجتهاد الجماعى أو المسمي وهو المفهوم الأمثل للإجماع، لاسيما بعد تحول العالم اليوم إلى قرية عالمية واحدة، وقد تجلى فعل الفارق (رضي الله عنه) فى جمع البدريين لكل حادثة وواقعة تحتاجج إلى اجتهاد دولة، وليس الي اجتهاد فرد.

5) الرأى والرأى الآخ منهج كان للخليفة الفاروق (رضي الله عنه) دور كبير نضوجه وبنائه، فقد كان ذلك واضحًا فى حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ثم شهدت الخلافة الراشدة عمومًا مشاهد حية لاحترامهم -رضوان الله عليهم- للرأى الآخر، ومن ذلك:

-مناقشات أبى بكر بشأن قتال المرتدين، وحول جمع القرآن.

-مناقشات الفاروق مع الرعية.

-ثم إن دم جامع القرآن الكريم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) هذه ثمنًا لحرية الفكر، وحق التعبير.

بل إن يهوديًا قد تحاكم مع الخليفة على -كرم الله وجهه- أمام القضاء الإسلامى فى دولة الإسلام الأول، وهذه كلها أدلة على احترام المنهج الإسلامى للرأى الآخر وعدم أهماله إلا بعد بيان عدم شرعيته [3].

ثانيًا الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (□) رحمه الله

1) راه البخاري فى صحيحه (149/4) ومسلم (145/7).
2) سورة الحشر: 7. (وأنظر لمزيد من الإيضاح فى هذه المسألة: إجتهاد عمر بن الخطاب فى أرض السواد، وصلته بالسياسة الإقتصادية الشرعية، د/ عبد الله الكيلانى، الدار الأثرية، ط1، عمان - الأردن (2008م)، ص 27 وما بغدها).
3) المعارضة السياسية فى الاسلام، د/ محسن عبد الحميد، ط1، دار احسان (1993م)، ص14.

(مدرسة الرأى) يمكننا أن نعد الإمام أبو حنيفة _ رحمه الله تعالى_، وهو إمام الكوفة والفقه ومؤسس مدرسة الرأى، وكذلك عموم مدرسته، ونخص منها الامام محمد بن الحسن السيبانى من أوائل من آثاروا الكلام فى مبحث: المصالح الشريعة والاستحسان، ومقاصد الشريعة وقواعد السياسة الشرعية.

فقد كان فقه ابو حنيفة ثراء واسعًا وعملاقًا عبر المسائل الكبيرة والكثيرة التى كان يتحاور ويقيم الدليل على رأيه فيها مع المتقدمين من مدرسته وعبر ما دون عن هذه المدرسة فى امهات الكتب، ومنها (الهداية والمبسوط وغيرها مما تم تدوينه فى كتاب السير الكبير للشيبانى)، وهو من أوائل من كتب فى السياسة الشرعية وقواعدها العامة الضابطة.

وقد درس الغربيون، هذا الامام الجليل فعرفعوا قدره، وعدوه مؤسس القانون الدولى، بل وأنشأوا معهدًا باسم محمد بن الحسن الشيبانى[2] فى فرنسا.

تعد مدرسة الحنفية مؤصلة لقواعد مُهمة وأساسية فى منظومة الفقه السياسي الإسلامى، فقد نشأ فيها الستحسان وترعرع وهو أصل رئيس من أصول فقه السياسة.

ولقد أدرك -رحمه الله-تحول الأمر من بنى أمية إلى بنى العباس، وكانت الكوفة مركز الحركة الكبري فى هذا الانتقال، وبها تمت بيعة أبى عبد الله السفاح.

قال جعفر بن ربيع: أقمت على ابن حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول منه حتمًا، فأنه سئل عن الفقه تفتح، وسال كالوادى، وسمعت له دويًا وجهرة فى الكلام، وكان إمامًا فى القياس.

وقال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان الثورى: يا أبا عبد الله مأبعد أبى حنيفة عن الغيبة، ما سمعته نعتاب عدوا له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها.

وكان لأبى حنيفة فكره السياسي الواضح والمستقل، فكان يصدع بالحق ولا يخشى فى الله لومة لائم، فما كان له الأثر البالغ فيما تعرض له من ابتلاءات ومحن، فقد أخذ ابو جعفر يتبع أبا حنيفة وفتاواه، ويحصيها عليه احصاءًا، ومن ذلك فتواه فى أهل الموصل، وذلك لأنهم قد انتفضوا على المصور، وتكرر انتقادهم، وكان قد اشترط عليهم أنهم إن انتقضوا تحل دماؤهم، فجمع الفقهاء وفيهم أبو حنيفة ثم قال: (أليس صح أن النبى (ﷺ)، قال: المؤمنون عند شروطهم[3]) وأهل الموصل قد اشترطوا الا يخرجوا على وقد خرجوا على عاملى، وحلّت لى دمائهم " فقال رجل، "يدك مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم، فإن عفوت فأنت أهل العفو، وإن عاقبت فبا يستحقون" وأبو حنيفة ساكت فألتفت اليه المنصور، وقال له: ما تقول يا شيخ ألسنا فى خلافة نبوة وبيت أمان؟، فقال الامام ابو حنيفة قولة الحق"إنهم شرطوا لك ما لايملكون، وشرطت عليهم ما ليس لك لأن دم المسلم لايحل إلا بإحدى ثلاث[4]" فإن اخذتهم اخذتهم بم لايحل، وشرط الله أحق أن توفى به، فأمرهم المنصور بأن يتفرقوا ثم دعاه، وقال: يا شيخ القول ما قلت، انصرف إلى بلادك، ولا تفت الناس بما هو شين على إمامك فتنبسط أيدى الخوارج"[5].كانت هذه الأراء الجريئة والافكار السياسة المستنيرة من الإمام أبى حنيفة، مع ميوله العلوية من غير تشيع، سببًا فى الا ينظر المنصور إليه نظرة رضا، ناهيك عن خلافه مع ابن أبى ليلي القاضي الرسمى للدولة العباسية الذى

---

1) هو النعمان بن ثابت، ولد سنة (80هـ) بالكوفة، تلقى الفقه على حماد بن أبى سليمان وسمع كثير من علماء التابعين كعطاء بن ابى رباح، ونافع مولى ابن عمر (انظر؛ سير اعلام النبلاء: 390/6).

2) محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى، كان أبوه من قرية حرستا من أعمال دمشق ثم قدم إلى العراق، فولد له محمد بواسط سنة(132هـ) ثم سكن بغداد فى كنف العباسيين(انظر: سير اعلام النبلاء، 134/9).

3) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف رقم (22454).

4) فى اشارة منه (ﷺ) الى الحديث الصحيح الذى اخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر قال، قال رسول الله (لايحل دمامرئ ملسم يشهد ان لا إله الا الله وأنى رسول الله الا بإحدى ثلاث، الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والترك لدينه المفارق للجماعة).

5) المناقب لابن البزازى، 17/2.

كان إذا قضى قضاءً لمى يعجب ابى حنيفة ينتقده من غير تردد، فلا يخشى فى الله لومة لائم... مما جعله يتعرض لمحنة شديدة على ايدى المنصور بسبب هذا الفكر السياسي، والجرأة فى الحق [1].

ولقد كان الامام محمد الحسن الشيبانى صاحب السيّر أحد نتاجات مدرسة أبى حنيفه، فقد طلب العلم فى صباه، فروى الحديث، وأخذ عن أبى حنيفه طريقة أهل العراق، لكنه لم يجالسه كثيرًا لأن أبا حنيفه توفى ومحمد محدثًا فأتم الطريقة على أبى يوسف، وكان فيه عقل وطنه فنبغ نبوغًا عظيمًا وصار هو المرجع الأعلى لأهل الرأى فى حياة ابى يوسف، وقد قابله الشافعى رحمه الله ببغداد وقرأ كتبه، وناظره فى كثير من المسائل، ولهما مناظرات مدونة ممتعة[2].

وقد كانت أصول وقواعد المدرسة الحنفية واضحة فى منهجية الامام محمد بن الحسن الشيبانى، وهو فى الحنفية يستحق دراسة مستقلة يُفرد بها نظرًا لجهوده التأسيسية المشهورة بقواعد الفقه عمومًا والسياسي خصوصًا لا سيما قواعد العلاقات الدولية عن هذا الإمام العبقري [3].

ثالثًا الإمام عبد الرحمن بن خلدون [4]

(مدرسة الاجتماع السياسي) العلم الجهبذ، مؤسس قواعد علم التاريخ، فقد كان التاريخ قبل ابن خلدون قصصًا وسيرًا ليس إلا، أما بعد المقدمة، فقد تحولت كفاية التاريخ إلى قوانين وقواعد وسنن وثوابت.

قال ابن خلدون -رحمه الله- "فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة، وأن الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى العرض العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار، والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الأخرة، وهى-فى الحقيقة- خلافة عن صاحب الشرع فى حداسة الدين وسياسة الدنيا" [5].

وقد كان لابن خلدون نظرة بارعة وثاقبة بشأن اشتراط النسب القرشي فى رأس النظم السياسي الاسلامى، فقال: "والشارع حريص على اتفاقهم، ورفع التنازع والشبهات بينهم، فتخص اللحمة والعصبية بخلاف ما إذا كان الأمر فى غير قريش، لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم، فلا من أحد خلاف ولا فرقة[6]".

والمتأمل فى هذا الكلام الذى ذكره ابن خلدون، يستطيع ان يتبين أن سر اشتراط النسب القرشي فى ذلك الوقت، لانها كانت صاحبة السيادة والسلطان والعصبية والقومية، فكلمة قريش رمز القوة والعصبية.

ولو أن قبائل العرب كانت متماثلة فى قوتها وعصبيتها لما كان هناك سبب لاشتراط النسب القرشي فى الخلافة، فالاساس الذى تقوم عليه الخلافة هو العصبية القوية، بحيث لو دار الزمن، وضعفت قبيلة قريش فى عصر من العصور وانتقلت العصبية إلى قبيلة أخري، أو إلى جماعة أخري من المسلمين، لأصبحت هذه القبيلة أو الجماعة هى قريش زمنها [7].

---

1) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد ابى زهرة، ص373.

2) تاريخ التشريع الاسلامى، الخضري، مطبعة الاستقامة، ط5(1939م)، ص234.

3) وقد قام الدكتور / على جمعة من الاردن الشقيق بانجاز رسالة خاصة بشأن قواعد العلاقات الدولية العامة والخاصة عن هذا الامام الجليل.

4) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، الحضرمى الاشبيلى، ولد بتونس سنة (732هـ) من اسرة عربية حضرمية هاجرت الى اشبيلية طلب العلم فى صباه، ولما بلغ شارك فى الشؤن العامة، وامور السياسة، له العديد من المؤلفات النافعة وعلى رأسها المقدمة ذات الصلة.

5) المقدمة، لابن خلدون، مؤسسة الأعلمى، بيروت، 518/2.

6) المقدمة، لابن خلدون، 520/2.

7) المسلمون وكتابة التاريخ، د/عبد العليم عبد لرحمن خضر، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمى للفكر الاسلامى، ط1(1995م)، ص151.

ولعل المتأمل فى هذا الكلام لابن خلدون يلحظ فيه ترسيخًا وإرساءًا لقاعدة من أهم قواعد الفكر السياسي، والتى تحتاج إليها الأمة فى هذا العصر أشد الاحتياج لجمع شتاتها ولم شملها وتوحيد كلمتها وصفوفها فى مواجهة من يتربصون بها من أعدائها شرقًا وغربًا.

ولقد ترك العلامة ابن خلدون مؤلفات عديدة فى التاريخ والمنطق والأدب والحساب والشعر، الا أنه اشتهر بتاريخه (العبر ويوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر) وبمقدمة هذا التريخ على وجه الخصوص.

ومما ينبغى لفت الانتباه إليه أن الجهود والأصول والقواعد السياسية لابن خلدون يستحق أن يفرد بدراسة علمية خاصة.

رابعًا الإمام ابو اسحاق ابراهيم الشاطبي

(مدرسة اهل الحديث) ولد هذا الامام الجليل فى "شاطبة" عام(790هـ) وتقع فى جنوب غرب بلنسبة، قريبًا من البحر الأبيض المتوسط، وقد كانت فى العهد الإسلامى عامرة فرد هرة، ومن أبرز مؤلفاته (الموافقات، الاعتصام) وقد ضمن الثانى مباحث نفيسة فى أصول الفقه، كمبث المصالح المرسلة والاستحسان [1].

وإن كان الكتاب الأول هو الذى يعنينا فى المقام الأول فقد تمت العناية به من قبل جمهرة من الباحثين والدارسين والعلماء، وعلى رأسهم الأستاذ/ أحمد الريسونى من علماء المغرب، وقد قام المعهد العالمى للفكر الإسلامى بنشر هذه الدراسة القيمة.

يقول الامام الشاطبي : (فقد اتفقت الأمةالأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهى"الدين - النفس- النسل -المال- العقل" وعلمها عند الامة كالضروري) [2].

ويقول أيضًا: (ولنتقدم -قبل الشروع فى المطلوب- مقدمة كلامية مسلمة فى هذا الموضع وهى أن يضع الشرائع أنما لمصالح العباد فى العاجل والآجل معًا).

وقال: (المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمالح العباد، فالتكليف كله إما لدرء مفسدة، أو لجلب مصلحة، أو لهما معًا) [3].

ومن المعلوم أن الامام الشاطبي يعد وريسًا شرعيًا لمدرسة الحديث المالكية، فلم تتوسع مدرسة أهل المدينة اجتهاديًا لكثرة ما بأيدهم من أحاديث وآثار، وقلة النوازل بعد انتقال الخلافة إلى الشام، ثم بغداد.

على ان الأمام الشاطبى يعد مؤسس علم مقاصد الشريعة، وقد امتحن حتى قال:

بليت بالقوم والبلوى منوعة بمن أداريه حتى كاد يردينى

دفع المضرة لا جلبا لمصلحة فحسبى الله فى عقلى وفى دينى[4]

خامسًا شيخ الاسلام ابن تيمية

(مدرسة العقل والنقل) أطلق اسم هذه المدرسة الفكرية على جهود مؤسسها وهو شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية[5] رحمه الله، وعلى تلاميذه البارزين الذين أصبحوا أئمة فيما بعد،

---

1) راجع كتاب الاعتصام، للشاطبى، دار المعرفة، بيروت (1408هـ)، 2/112-150.
2) الموافقات، للشاطبى، دار المعرفة بيروت، ط2(1395هـ)، 1/38.
3) المرجع السابق، 1/199.
4) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، د/الريسونى، ص12.
5) مجموع الفتاوي، 28/262.

بعد، وخاصة ابن القيم الجوزية، والذهبى، وابن عبد الهادى، وإن كان الأول يعد المؤصل للمدرسة فيما بعد ابن تيمية، وخاصة في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير العباد وغيرهما بينما يعد الذهبي رحمه الله إماما في التاريخ والتراجم.

يقول الإمام ابن تيمية فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا ولم ينفعهم ما نعموا به وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم[1]

ويقول أيضا وقد أمر الله تعالى العباد بأن يبذلوا غاية وسعهم في التزام الأصلح فالأصلح، واجتناب الأفسد فالأفسد، وهذا هو الأساس الأكبر في التشريع الإسلامي ، فإن مدار الشريعة على قوله تعالى:(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)[2]، والمفسره لقوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)[3]، وعلى قول النبي (ﷺ) إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).[4]

ولعل المتأمل في كلام شيخ الاسلام يري فيه إرساءًا وتأصيلًا لقاعدة من أهم قواعد الفكر السياسي وهى قواعدة تولية واتختيار الاصلح لكل ولاية والتى تنظم عملية تولى المناصب الادارية فى الدولة الاسلامية وان الولايات لاينبغى أن يكون الاختيار فيها قائم على المحسوبية أو العصبية وأنما لابد من مراعاة قاعدة الأكفاء والأصلح عند الاختيار.

(ويري شيخ الاسلام أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطسل المفاسد وتقليلها، إذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع إحتمال أدناهما هو المشروع) [5].

ولعل المتأمل فى هذه العبارة يري فيها تأصيلًا وترسيخًا لقاعدة أخري من قواعد الفقه السياسي وهى قاعدة الموازمة والترجيح عند تزاحم المصالح والمصالح والمفاسد والمفاسد، واتباع هذه القاعدة وأعمالها لاغنى للقائمين على أمور الرعية، ورعاية شئونها.

ولقد بنى شيخ الاسلام ابن تيمية أصول مدرسة واسعة آتت ثمارها فى أجيل تلت، ومن أقواله: (فإن بنى آدم لاتتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد من رأس، واستدل ابن تيمية من قول النبى (ﷺ) (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض الا أمروا أحدهم عليهم) فأوجب النبى (ﷺ) تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع).

وهو بهذا الكلام يلفت الأنظار إلى قاعدة أخري لاتقل أهمية من قواعد الفكر السياسي، وهى وجوب أن يكون للجماعة رأس وحاكم يتولى أمورها ويدبر شئونها.

إن شيخ الاسلام ابن تيمية يمثل علامة مضيئة فى تاريخ أمتنا، وهو يستحق دراسة تبين قواعد الفقه السياسي عنده.

سادسًا ابى الحسن على بن محمد الماوردى البغدادى

(المدرسة الجامعة بين الحديث والرأي مدرسة التأصيل السياسي) ولد الامام الماوردي فى حالة من اضطراب سياسي كبير فى العصر البريهي وقد نهل من العلم فى البصرة، وهو موئل العلم فى آنذاك، ونهل من شيخه ابن القاسم، وكان هذا الشيخ من أقطاب فقهاء الشافعية فى ذلك العصر،

---

1) مجموع الفتاوي، 263/28.
2) سورة التغابن: آية 16.
3) سورة آل عمران: آية 102
4) مسلم في صحيحه (1337).
5) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، ابن تيمية، مكتبة البيان، دمشق(1405هـ)، ص161.

ونهل من علم الاسفيرايني في بغداد، ولما تكامل علمه ولى القضاء فى مدن اسلامية شتى، حتى لقب بأقضى القضاه[1].

وقد كان الماوردى رحمه الله من وجوه الشافعية، وقد كان من رجال السياسة البارزينفى دولة بنى العباس، وخاصة فى مرحلتها المتأخرة.

وقد وصفه السبكى بقوله :"كان إمامًا جليلًا رفيع الشأن، له اليد الباسطة فى المذهب الشافعى، والتفنس العام فى سائر العلوم" [2].

نشأ الماوردى فى معترك الصراع الفكري فى البصرة، ثم رحل إلى بغداد ليلتقى أبا حامد أحمد بن ابى طاهر الاسفرايسينى، وقد سطع نجم الماوردى أثناء إقامته ببغداد، حتى اختيرو سفيرًا بين رحالات الدولفى بغداد، وذلك لما عُلم عنه من فضل وعلم وحسن رأى وجلالة قدر [3].

ولقد اتصف الماوردى بصفات جعلته فى الذروة بين رجال العلم، فقد كان صاحب ذاكرة واعية، وبديهة حاضرة، وعقل مستقيم حازمًا فى القول والعمل، حليمًا نضبط النفس، متواضعًا بعيد النفس عن الغرور، حييًا شديد الحياء، له وقار وهيبة واخلاص [4] ".

وللماوردى مجموعة من المؤلفات القيمة منها(تفسير النكت والعيون، والحاوى الكبير فى الفقه الشافعى، وادب القاضى، وقوانين الوزارة، وسياسة الملك، والاحكام السلطانية) الذى يوكد وزن الماوردى الثقيل فى الفقه السياسي.

"وقد حرص الماوردى فى هذا المؤلف على دراسة جوانب الملك جميعها فى الدولة، وتقرير القواعد والاصول، وحديد حقوق المواطنين وواجباتهم من قبل الحاكم والدولة [5]".

كان الامام الماوردى عرضة لدراسات جمهرة من المستشرقين، منهم المستشرق (جب) عضو مجمع اللغة العربية المصرى، وذلك عبر مقالة نشرها فى مجلة (Islamic Cultures) الهندية عام (1973م)، [6] وكذلك مقال (لكارل بروكمان) عن الماوردى فى دائرة المعرف الاسلامية.

وقد قسم الماوردى كتابه الاحكام السلطانية الي عشرين بابًا، أهمها عقد الامامة، وتقليد الوزارة، والولاية على الحروب والمصالح، وولاية القضاء..... الخ.

يقول الماوردى"الامامة موضوعة الخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها فى الامة واجب بالاجماع"

ويقول ايضًا "فما كان العقل ليتعارض مع الشرع بحال من الاحوال، وذلك الشريعة الاسلامية معقول الاحكام والغايات".

إن كان الماوردى والاحكام السلطانية يمثل خلاصة تجربة هذا الامام الجليل، وعلمينة السّثرّة فى تقعيد قواعد ووضع ضوابط واركان علم السياسة الشرعية.

يقول الامام الماوردى"ان الله جلت قدرته ندب للأندب للأمة زعيمًا خلفت به النبو ة، وحاط به الملة، وفوض به السياسة ليصدر عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأى متبوع، وكانت الاقامة أصلًا استقرت عليه قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الامة، حتى استتبت بها أمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، ولولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين، وهجا مضاعين" [7].

1) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لابي الحسن الماوردى، خرج أحاديثه د /خالد الحميلي، المكتبة العلمية، بغداد، ص7.
2) طبقات الشافعية، السبكى، مطبعة مصطفى الحلبى، مصر، 303/3.
3) سير أعلام النبلاء، للذهبى، دار الحديث، القاهرة، 311/31.
4) الاعلام باعلام الاسلام، محمد ابو زهرة، مجوعة مقالات منشورة ضمن كتاب العربي، عدد99(يناير2015م)، اصدار وزارة الاعلام الكويتية.
5) قواعد الفقه السياسي، د/خالد الفهداوى، ص5.
6) الفكر السياسي عند الماوردى، د /صلاح الدين بسيونى، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة (1985م)، ص37.
7) الاحكام السلطانية، للماوردى، ص2-3.

ان الشروط التى اشترطها الماوردى فى الحاكم(الامام- الخليفة) تعتمد مبدأ الاسلام الاخلاقى أولًا فى طعن نجد (ميكافيلي) المولود عام(1469م) بفلورنسا، صاحب كتاب (الأمير) (1513م) أول من فصل بين السياسة والاخلاق، حيث دعا فى السياسة الى الكذب والخداع والقسوة، والرهاب والغدر، وتعد هذه الاصول فى السياسة اللأخلاقية مدار اقتداء لمجموعة كبيرة من العلمانين واللادينين ومنهم (موسولينى) الفاشى (وهتلر) النازى وغيرهاهما من اركان المدرسة السياسية اللادينية، وقد كان موسولينى يطيل الاستشهاد به، بينما كان هتلر يقول "ان ما يعنينى هو سياسة القوة، واعنى بذلك أن استعمل كل الوسائل التى تبدو لى أن من الممكن الاستفادة منها صون اتباع قانون الشرف" (1).

ولقد حاول الامام الماوردى وضع عدد من القواعد التى يمكن ان تشكل منهجًا متكاملاً تنتظم به أمور العباد حيث يقول "اعلم ان ما تصلح به الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة، واامورها ملتئمة، ستة أشياء، وهى قواعدها، وان تفرعت وهى(وهى دين متبع وسلطان قاهر، وعدل شامل، وامن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح) والسلطان القاهر نتألف برهبته الاهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتتكلف بسطوته الآيدى المتغالبة، وتنضمع من خوفه النفوس المتعادية، لأنه فى طباع الناس من حب المغالبة والمنافسة ما آثروه، والقاهر لمن عانده ما لاينفكون عنه الا بمانع قوى ورادع ملى" (2).

سابعًا حجة الاسلام ابو حامد الغزالى وعموم المدرسة الشافعية (3)

المقصود بهذه المدرسة أبو حامد الغزالى فى كتابه المستصفى على وجه الخصوص، وهو إمتداد لمدرسة شيخه أبى المعالى الحوينى، فقد تشبع بفكره وآرائه واصطبغ كثيرًا بمنهجه واختياراته، لكنه - مع هذا كله - لم يقف عند حدود ما وقف عنده الامام سواء فى علم أصول الفقه عمومًا، أو فى مقاصد الشريعة خصوصًا، وقد اصبحت منزلته بالنسبة لشيخه يصدق على ما قاله هو نفسه، وهو يلتمس المرجحات لمذهب الشافعى على غيره، حيث قال: "السابق وإن كان له حق الوضع والتأسيس والتأصيل، فللمتأخر الناقد حق التتميم والتكميل" (4).

واذا كان الامام الغزالى لم يأت بجديد فى مؤلفه الاصولى الأول و هو "المتحول من تعليقات الاصول" الا انه تقدم كثيرصا فى التنقيح والتطوير فى كتابه "شفاء الغليل فى بيان الشبه والمحيل ومسالك التعليل" ذلك الكتاب القيم الذى حققه الدكتور/ حمد عبيد الكبيسي، ثم انتهى الى ما اوضح وأوضح كتابه(الالمستصفى فى علم الأصول) (5).

اما الشيخ الغزالى وهو امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى فمن أضخم كتبه البرهان وقد قال فيه فيه "ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد فى الاوامر والنواهى فليس على بصيرة فى وضع الشريعة" (6).

ومعروف أن الجوينى - امام الحرمين- رحمه الله هو صاحب الفضل والسب ق فى التقسيم الثلاثى لمقاصد الشريعة (الضروريات - الحاجيات - التحسينيات) كما أنه من ذوى السبق فى الاشارة الى الضروريات الكبري فى الشريعة(الضروريات الخمس) [الدين- النفس - العقل-النسل- المال] (7).

---

1) قواعد الفقه السياسي، العهداوي، ص56.
2) ادب الدنيا والدين، الماوردى، ت/مصطفى السقا، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة(1959م)، ص119.
3) هو ابو حامد بن محمد الغزالى (ت505هـ)بمدينة طوس صاحب التصانيف الشهيرة كاحياء علوم الدين والمستصفى (سير اعلام النبلاء، 322/19).
4) تنسب هذه المدرسة للإمام محمد بن ادريس الشافعى (ت 204هـ) وهى السنة التى توفى فيها أبو حنيفه، واشتهر فيه اتباع الشافعى الذى نشروا مذهبه، البوطى والمزنى(سير اعلام النبلا، الذهبي، 5/10).
5) نظرية المقاصد، د/أحمد الريسونى، ص52.
6) البرهان فى اصول الفقه، للجوينى، 295/2.
7) البرهان فى اصول الفقه، للجوينى، 1151/2.

اما الباقلانى، وهو الملقب "بشيخ الأمة، ولسان الأمة "[1]إمام وقته، ويعد مجدد المائة الرابعة، وهو يمثل المنعطف الثانى فى تاريخ علم أصول الفقه، فاذا كان الشافعى قد ادخل علم أصول الفقه فى مرحلة التأليف والتدوين، فإن الباقلانى قد انتقل بالتأليف الاصولى الى مرحلة التوسع الشمولى والى مرحلة النماذج فى علم الكلام، وذلك فى كتابه الضخم (التقريب والارشاد فى ترتيب طرق الاجتهاد) والذى قال عنه ابن السبكى، هو أجّل كتب الأصول.

أما فخر الدين الرازى، فقد أورد فى كتابه "المحصول" كل ما سبق عند الجوينى والغزالى.

أما سيف الدين الآمدىصاحب كتاب "الاحكام فى اصول الاحكام" فهو تلخيص للكتب الثلاثة (المعتمد-البرهان- المستصفى) وعى آثار هولاء الجاهبذة نهج كل من ابن الحاجب والبيضاوى والاسنوى وابن السبكى.

وخلاصة القول أن المدرسة الشافعية لها فضل كبير فى تقعيد القواعد وتأصيل العلوم لا سيما علم أصول الفقه، تأسيس وتبويًا وشرحًا وتوسيعًا كما سبق بيان ذلك.

إن المدرسة الشافعية تعبر عن حالة من النماذج بين مدرسة الرآى والاجتهاد التى تمثلها المدرسة الحنفية، ومدرسة الأثر التى تمثلها المدرستان الحنبلية والمالكية.

لقد كان الفقه الشافعى مزيجً متجانسً، وعطاً ء ترا لمواجهة التحديات التى داهمت الساحة العلمية والفكرية الاسلامية.

ولا يخفى على احد ما قدمه علماء الشافعية فى موضوع الفقه السياسي اتلاسلامى خاصة، فقد كانت موضوعات الامامة والسياسة الشريعة تناقش فى مختلف الاصعدة، ومن ادوات علم الكلام آنذاك، وعلى رأس تلك التجارب ما قام به أبو الحسن الاشعري فى موازنته ودعوته الى منهج الوسط الذى كان أنذاك استجابة للتحدى، وقيامًا بواجب الوقت، وعلى رأس كتبه المهمة "مقالات الإسلامين".

ثانيًا القواعد الفقهية:

تعريف القواعد الفقهية:

الفقه لغة: (الفِقْهُ: العِلْمُ في الدِّين، فَقُهَ الرَّجُلُ يَفْقُهُ فِقْهاً وفَقِهَ يَفْقَهُ فَقَهاًعَلِمَوأفْقَهْتُه أي بَيَّنْتَ لهوالتَّفَقُّهُتَعَلُّمُ الفِقْهوفَحْلٌ فَقِيْهٌ عالِمٌ بذَوَاتِ الضَّبَعِ منها).[2]

(الفِقْهُ العلم بالشيء والفهمُ له وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه وشرفه وفَضْلِه على سائر أَنواع العلم كما غلب النجمُ على الثُّرَيَّا والعُودُ على المَنْدَل).[3]

الفقه اصطلاحا: هو: (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية).[4]

القاعدة الفقهية: (القاعدة قضية كلية منطبقة علي جميع جزئياتها).[5]

أو (القاعدة حكم كلي ينطبق علي جزئياته ليتعرف أحكامها منه).[6]

القاعدة الأولي

(تصرف الإمام علي الرعية منوط بالمصلحة وغيرها

---

1) سير اعلام النبلاء، الذهبى، 190/17.
2) المحيط في اللغة - الصاحب بن عباد - 278/1.
3) لسان العرب - ابن منظور - مادة (فقه) - 522/13.
4) نهاية السول في شرح منهاج الوصول - الاسنوي - 26/1.
5) التعريفات - الجرجاني - ص117.
6) شرح التلويح علي التوضيح لمتن التنقيح - التفتازاني - 235/1.

أولا بيان مفردات هذه القاعدة

التصرف لغة: (التصرف في اللغة مشتق من الصرف وهو رد الشيء علي وجهه أو رد الشيء من حال إلي أخري، وتصريف الرياح صرفها من حال إلي حال، ويقال صرفت القوم صرفا وانصرفوا إذا رجعتم فرجعوا).[1]

التصرف اصطلاحا: (التصرف بالمعني الفقهي هو كل ما يصدر عن الشخص بإرادته، ويرتب الشرع عليه نتائج حقوقية، وقد جعله نوعين: فعليا وقوليا، فالتصرف الفعلي: هو ما كان قوامه عملا غير لساني، كإحراز المباحات، والتصرف القولي:ينقسم إلي أقوال عقدية أو غير عقدية).[2]

الإمام لغة: (الإمام: من يأتم به الناس من رئيس أو غيره ومنه إمام الصلاة والخليفة وقائد الجند والقرآن للمسلمين وفي التنزيل العزيز إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ)[3]، واصله: أأممة، فأدغمت الميم في الميم بعد نقل حركتها إلي الهمزة، ويطلق علي الذكر والانثي، وإنما ذكر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء).[4]

الإمام اصطلاحا: (هو من يتولي رياسة المسلمين وحكمهم، ويسوسهم، ويحفظ عليهم أمرهم).[5]

منوط لغة: (المنوط في اللغة: المعلق والمربوط بأمر أخر، من ناط الشئ بغيره وعليه نوطا أي علقه، وناط الأمر بفلان، ونيط عليه الشئ: عهد به إليه، ونيط به الشئ: وصل به، ويقال: نطت هذا الأمر به أنوطه، وقد نيط به، فهو منوط، والمناط: موضع التعليق).[6]

منوط اصطلاحا: لا يخرج معناه عن المعني اللغوي، فمقصوده: التعليق والربط بالمصلحة.

المصلحة لغة: (الصاد واللام والحاء: أصل واحد يدل علي خلاف الفساد، يقال صلح الشئ صلاحا وصلوحا وصلح يصلح فهو صالح: إذا زال عنه الفساد، وإذا كان نافعا أو مناسبا، ومنه قيل : هذا الشئ يصلح لك).[7]

المصلحة اصطلاحا: (المصلحة عبارة في الأصل عن جلب منفعة، أو دفع مضرة، ولسنا نعني بها ذلك؛ فان جلب المنفعة، ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة: المحافظة علي مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة؛ وهو أن يح فظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة).[8]

(التصرف علي الرعية منوط بالمصلحة، أي: إن نفاذ تصرف الراعي علي الرعية ولزومه عليهم شاؤوا أو أبوا معلق ومتوقف علي وجود الثمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو

1) انظر: لسان العرب - ابن منظور - مادة (صرف) - 189/9، القاموس المحيط - الفيروز ابادي - ص1068
2) المدخل الفقهي العام - الزرقا - 272/1.
3) يس: 12.
4) لسان العرب - 213/1،المصباح المنير - ص17
5) التعريفات - ص53
6) لسان العرب - ابن منظور - مادة (نوط) - 328/14، المعجم الوسيط - مادة (ناط) - 963/2
7) معجم مقاييس اللغة - باب الصاد واللام وما يثلثهما - 303/3
8) المستصفي - محمد الغزالي - ص174

دنيوية، فان تضمن منفعة ما وجب عليهم تنفيذه وإلا رد لان الراعي ناظر، وتصرفه حينئذ متردد بين الضرر والعبث وكلاهما ليس من النظر في شئ).[1]

أصل هذه القاعدة: قول الشافعي (ﷺ): (منزلة الإمام من الرعية منزلة الولي من اليتيم)، وقول عمر رضوان الله عليه (إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وإلى اليتيم، إن احتجت أخذت منه، فإذا أيسرت رددته، فإن استغنيت استعففت).

ومن أدلة هذه القاعدة: قوله (ﷺ): (ما من عبد يسترعيه الله (ﷻ) رعية يموتوهو غاش رعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة) [2] وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لم يجهد لهم وينصح لهم كنصحه وجهده لنفسه إلا لم يدخل معهم الجنة) [3] (تَصَرُّفُ الْإِمَامِ إنْ تَصَرَّفَ تَصَرَّفَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ الْمَحْضَةِ، كَانَتْ مَصَالِحُ تَصَرُّفِهِ آجِلَةً، وَإِنْ تَصَرَّفَ فِي حُقُوقِ الْعِبَادِ كَانَتْ مَصَالِحُ الْعِبَادِ عَاجِلَةً وَمَصَالِحُ الْإِمَامِ آجِلَةً، وَإِنْ تَصَرَّفَ لِإِقَامَةِ الْحَقَّيْنِ حَصَلَ الْمَحْكُومُ لَهُ عَلَى الْفَوَائِدِ الْعَاجِلَةِ وَحَصَلَ الْإِمَامُ عَلَى الْأَجْرَيْنِ).[4]

إن نفاذ تصرف الراعي على الرعية، ولزومه عليهم شاؤوا أو أبوا معلق ومتوقف على وجود الثمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو دنيوية، فإن تضمن منفعة ما وجب عليهم تنفيذه، وإلا ردّ، لأن الراعي ناظر، وتصرفه حينئذٍ متردد بين الضرر والعبث وكلاهما ليس من النظر في شيء.

(وليس للإمام أن يأمر بذلك إلا أن يرى في ذلك مصلحة عامّة لا تقابلها مفسدة أو ضرر أرجح منه؛ وذلك أن الأصل في تصرّفات الولاة النافذة على الرعية الملزمة لها في حقوقها العامة والخاصَّة أن تبنى على مصلحة الجماعة، وأن تهدف إلى خيرها. وتصرّف الولاة على خلاف هـ ذه المصلحة غير جائز).[5]

(تصرف الراعي في امور رعيته ومن تحت يده يجب ان يكون مبنيا ومتعلقا علي المصلحة والنفع، بعيدا عن المفسدة والضرر، وكل تصرف لا يبني علي المصلحة، ولا يقصد منه نفع الرعية، فانه لا يكون صحيحا ولا جائزا شرعا).[6]

(إذا كان فعل الإمام مبنيا علي المصلحة فيما يتعلق بالأمور العامة لم ينفذ أمره شرعا إلا إذا وافقه، فان خالفه لم ينفذ).[7]

(هي من أعظم قواعد الفقه الإسلامي الكلية ا لمتعلقة بالسياسة الشرعية العظمي ، والتي تتعلق بأعظم مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية واكبر قاعدة من قواعدها؛ ألا وهي قاعدة "جلب المصالح ودرء المفاسد،وحفظ الضرورات الخمس: الدين النفس المال العرض العقل، وذلك بقيام الرعاة والأمراء بما كلفوا به من أمانات الرعية، وحفظها وإحاطتها بالرعاية والأمانة، والعدل والحق، ورسم حدود التصرفات الشرعية لهؤلاء الولاة، وبيان أنها جميعا مقيدة بالمصلحة والمنفعة لمن تحت أيديهم من الرعية؛ فما كان منها متضمنا النفع والمصلحة نفذ، وما كان منها مشتملا علي الضرر).[8]

---

1) شرح القواعد الفقهية ـ الشيخ احمد الزرقا ـ ص309.

2) اخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الايمان – باب استحقاق الوالى الغاش لرعية النار – رقم (227) – 125/1.

3) أخرجه مسلم في صحيحه – كتا الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهى عن إدخال المشقة عليهم – رقم (22) – 1460/3.

4) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ـ أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) ـ 80/2.

5) المدخل الفقهي العام، للزرقا (1050/2).

6) درر الحكام شرح غرر الأحكام ـ محمد بن فرامرز بن علي (المتوفى: 885هـ) ـ 57/1

7) الأشباه والنظائر ـ للإمام تاج الدين السبكى ـ 24/1

8) بحث: قاعدة التصرف علي الرعية منوط بالمصلحة ـ دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية ـ د /ناصر بن محمد بن مشري الغامدي ـ ص2

يقول شيخ الْإِسْلَام ابْن تَيْمِية: (فَإِذا ازْدحم واجبان لَا يُمكن جَمعهمَا فَقدم أوكدهما، لم يكن الآخر فِي هَذَا الْحَال وَاجِبا وَلم يكن تَاركه لأجل فعل الأوكد تَارِك وَاجِب فِي الْحَقِيقَة، وَكَذَلِكَ إِذا اجْتمع محرمان لَا يُمكن ترك أعظمهما إِلَّا بِفعل أدناهما، لم يكن فعل الْأَدْنَى فِي هَذِه الْحَال محرما على الْحَقِيقَة وَإِن سمى ذَلِك ترك وَاجِب، وَسمي هَذَا فعل محرم بِاعْتِبَار الْإِطْلَاق لم يضر وَيُقَال فِي مثل هَذَا ترك الْوَاجِب لعذر وَفعل الْمحرم للْمصْلحَة الراجحة أَو الضَّرُورَة أَو لدفع مَا هُوَ أحرم).[1]

وينص الإمام القرافي رحمه الله علي هذه القاعدة بقوله : (يقدم في كل ولاية من هو أقوم بمصالحها).[2]

عبر العز بن عبد السلام _رحمه الله_ عن هذا المعني بقوله :(يتصرف الولاة ونوابهم فيما ذكرناه من التصرفات فيما هو الأصلح للمولي عليه درءا للضرر والفساد، وجلبا للنفع والرشاد).[3]
والرشاد).[3]

(يقدم في الخلافة من هو كامل العلم، وافر العقل والرأي، قوي النفس، شديد الشجاعة، العارف بأمور الولايات، الحريص علي مصالح الأمة، القرشي، كامل الحرمة والهيبة في نفوس الناس).[4]

القاعدة الثانية قاعدة:(ضبط المصالح العامة واجب ولا ينضبط إلا بعظمة الأئمة في نفوس الرعية) قال رسول الله (ﷺ): (خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا علي الله (ﷻ): من عاد مريضا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيا، أو دخل علي إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس).[5]

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وان لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلا لإثارة الناس، والي تنفير القلوب من ولاة الأمور، فهذا عين مفسدة واحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملء القلوب علي ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضي، وكذا ملء القلوب علي العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها، وإذا حاول احد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمن،لان الناس إذا تكلم العلماء لم يثقوا في كلامهم، وان تكلم الأمراء تمردوا علي كلامهم فحصل الشر والفساد).[6]

يقول بدر بن جماعة :(والحق الرابع أن يعرف له عظيم حقه ،وما يجب من تعظيم قدره ، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام،وما جعل الله تعالي له من الإعظام ،ولذلك كان العلماء الإعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم،ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم ،وعدم الطمع فيما لديهم،وما يفعله بعض المنتسبين إلي الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة).[7]

ففي قوله (ﷻ)(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ * وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[8]

(دليل على أن على الناس - وإن تواضع لهم إمامهم و غض لهم جناحه - أن يوقروه، ولا ينزلوه من أنفسهم منزلة بعضهم من بعض، وأن ينتظروهلحوائجهم - وإن رفع حجابه - حتى يخرج إليهم).[1]

---

1) مَجْمُوع الْفَتَاوَى 195/24 – 196.
2) الفروق - القرافي - 601/2
3) قواعد الأحكام - العز بن عبد السلام - 158/2
4)الأحكام السلطانية - الماوردي - ص30
5) مسند الإمام أحمد بن حنبل – حديث معاذ بن جبل – رقم (22093) 412/36.
6) حقوق الراعي والرعية - الشيخ ابن عثيمين - ص44
7) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام - بدر بن جماعة - ص63
8) الحجرات: 4-5.

(فالإجماع منعقد من الأمة علي أن الناس لا يستقيم لهم أمور دينهم ولا دنياهم إلا بالإمامة، فلولا الله ثم الإمامة لضاع الدين وفسدت الدنيا).[2]

الدعاء لولي الأمر بالصلاح والاستقامة والنهي عن الدعاء عليه، لأنه بصلاح الإمام صلاح الرعية، وبفساده فساد الرعية (إذا رأيت الرجل يدعو علي السلطان بالصلاح فاعلم انه صاحب سنة إن شاء الله) [3] عدم الإنكار على الأمراء علنا على الأمراء حتى لا يؤدي ذل ك إلى جرأة الناس عليهم، وإنما يناصحون في السر.

يقول ابن النحاس: (ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة علي الكلام معه علي رؤوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سرا، ونصحه خفية من غير ثالث لهما).[4]

(ما يجب أن تكون عليه الرعية ونوابها من نصرة الراعي، والاستعداد لبذل النفس والنفيس في حماية الأوطان والدفاع عنها كلما توقعت خطرا أو تعرضت لخطر، والالتحام التام بين الراعي والرعية، مع الاعتراف بالمنزلة السامية التي تمتاز بها الرياسة والقومية، وذلك ما يتضمنه جواب الملأ لملكة سبأ، قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّة وَأُوْلُواْ بَأۡس شَدِيد.[5] ثم أضافوا قولهم وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ).[6] يقول (لا تسبُّوا الولاة؛ فإنهم إن أحسنوا كان لهمالأجر وعليكم الشكر، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر).[7]

القاعدة الثالثة: (يراعي في كل ولاية الأصلح لها)

يقول ابن تيمية رحمه الله : (يجب علي ولي الأمر أن يولي علي كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل،فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه علي الأمصار،من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان والقضاة ونحوهم من أمراء الأجناد ومقدمي العساكر الص غار والكبار وولاة الأموال من الوزراء والكتاب فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَسْتَعْمِلَ فِيمَا تَحْتَ يَدِهِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أَصْلَحَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يُقَدِّمُ الرَّجُلَ لِكَوْنِهِ طَلَبَ الْوِلَايَةَ أَوْ سَبَقَ فِي الطَّلَبِ بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْمَنْعِفَإِنْ عَدَلَ عَنْ الْأَحَقِّ الْأَصْلَحِ إلَى غَيْرِهِ لِأَجْلِ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا أَوْ وَلَاءِ عَتَاقَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوْ مُرَافَقَةٍ فِي بَلَدٍ أَوْ مَذْ هَبٍ أَوْ طَرِيقَةٍ أَوْ جِنْسٍ : كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ؛ أَوْ لِرِشْوَةٍ يَأْخُذُهَا مِنْهُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ أَوْ لِضَغَنٍ فِي قَلْبِهِ عَلَى الْأَحَقِّ أَوْ عَدَ اوَةٍ بَيْنَهُمَا؛ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَدَخَلَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ فِي قَوْله تَعَالَى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ [8]).[9]

ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى نقطة جوهرية وردت فيما حكاه كتاب الله عن شعيب (عليه السلام): {وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} فها هنا يتحدث شعيب عن النصيحة الخالصة التي لم يزل يسديها إلى قومه ، فلم يعر لها الملأ منهم التفاتا ولا اعتبارا، ونفس الشيء تحدث عنه نوح وهود وصالح من قبل شعيب، كما حكى الله ذلك عنهم جميعا، فعلى لسان نوح جاء قوله، أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)

---

1) **النكت الدالة علي البيان في انواع العلوم والاحكام - احمد الكرجي القصاب (ت 360هـ) - 173/4**
2) **مجموع الفتاوي - ابن تيمية - 390/28.**
3) **شرح السنة - البربهاري - ص113.**
4) **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، احمد بن إبراهيم النحاس،ص64.**
5) **النمل: الآية33.**
6) **التيسير في أحاديث التفسير - محمد المكي الناصري (ت1414هـ) - 427/4.**
7) **الخراج - أبو يوسف - ص10.**
8) **الأنفال:27**
9) **مجموع الفتاوي - ابن تيمية - 247/28**

[1] وعلى لسان هود جاء قوله: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) [2] وعلى لسان صالح جاء جاء قوله: (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ) [3].

وهكذا نجد أن إسداء النصح إلى الخلق كان شعار الأنبياء والمرسلين واحدا بعد الآخر، وأنهم بذلوا كل المستطاع، بل ما فوق المستطاع، في سبيل هداية الخلق إلى الله وإلى صراطه المستقيم، ولم تزل النصيحة دينا متبعا وسنة متوارثة، إلى أن أنزل الله الوحي على رسوله الكريم، ف جدد الأمر بها، وأكدها الذكر الحكيم، وفرض الإسلام بمقتضى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تبادل النصح والإرشاد في شؤون الدين والدنيا على الراعي والرعية . لكن النصيحة لا تعتبر نصيحة في الإسلام إلا إذا كانت خالية من كل غش أو تدليس أو خيانة، وخالصة من جميع الأغراض الشخصية.[4]

أوصى الفاروق عمر الخليفة الذي سيخلفه في قيادة الأمة بوصية مهمة منها:وأوصيك بتقوى الله والحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورك، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم؛ فإن في ذلك -بإذن الله- سلامة لقلبك وحطًّا لوزرك، وخيرا في عاقبة أمرك حتى تفضي في ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك، وآمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل جرمه، واجعل الناس عندك سواء، لا تبالِ على مَنْ وجب الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط لك اقترفت به إيمانا ورضوانا، وإن غلبك الهوى اقترفت به غضب الله.......)

اجتناب الأَثَرَة والمحاباة واتباع الهوى؛ لما فيها من مخاطر تقود إلى انحراف الراعي، وتؤدي إلى فساد المجتمع واضطراب علاقاته الإنسانية (وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله)، (ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم) [5]، أن الراعي إذا عف عفت رعيته، فإذا عمل الإمام بطاعة الله وبذل العدل في الرعية، وصار القريب والبعيد، والغني والفقير والجليل والحقير في الحق سواء، وكان متواضعاً يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم ويحب الفقراء والمساكين ويعطيهم حقهم ويضع في المسلمين فيئهم جعل الله له الهيبة في القلوب وتداعى له كل مطلوب.[6]

القاعدة الرابعة: قاعدة (العدل مأمور به في جميع الأمور)

العدل لغة: (هوعَدلٌ أي مَرضِي وهُمْ عَدْل، وإنْ شئتَ عُدُوْلٌ بين العَدَالَةِ والعُدُوْلَة وهم أهْلُ المَعْدُوْل والمَعْدَلَةِ والمَعْدِلَة وعِدل الشيءِ وعَدلُه نَظيرُه،أي مُسْتَويان، وعَدَلْتُه به، وهو يُعَادِلُه، وإنْ شئتَ يَعْدِلُه والعِدْلانِ الحِملانِ على الدابة وعدلْتُ الأحْمَالَ جَعَلْتها أعْدَالاً مُستَوِيَةًوعَدَلَ بالله كَفَرَ وعَدَلْتُه عنه أَمَلْتُه وعَدَلْتُ أنا عن الطَرِيق، وعَادَلْتُ أيضاًوانْعَدَلَ الطَّرِيقانْعَرَجَويقولون للطَرِيق أيضاً هو يَعْدِلُ إلى مَكانِ كذا والعَدِيْل مَنْ يُعَادِلكَ في المحْمِلوالعَدْلُ الفِدَاءفأما قوله : " لا يُقْبَلُ منها عَدْلٌ " فقيل الفَرِيْضَةُ أيضاً فيه).[7]

عدل عدلا وعدولا مال ويقال عدل عن الطريق حاد وإليه رجع وفي أمره عدلا وعدالة ومعدلة استقام وفي حكمه حكم بالعدل ويقال عدل فلانا عن طريقه رجعه وعدله إلى طريقه عطفه والشيء

---

1) الأعراف: 62.
2) الأعراف: 68.
3) الأعراف: 79.
4) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى:1414هـ)، 6، 246/2.
5) عثمان بن عفان شخصيته وعصره، علي محمد محمد الصلابي، 79/1.
6) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود، 859/2.
7) المحيط في اللغة ـ الصاحب بن عباد ـ 75/1.

عدلا أقامه وسواه[1] والعَدْل ما قام في النفوس أَنه مُسْتقيم وهو ضِدُّ الجَوْر عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ.[2]

العدل اصطلاحا: (الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط).[3]

وعرف الشوكاني رحمه الله العدل بأنه : (فصل الحكومة على ما في كتابالله سبحانه وسنة رسوله (ﷺ)، لا الحكم بالرأي المجرد، فإن ذلك ليس من الحق في شيء إلا إذا لم يوجد دليل تلك الحكومة في كتابالله ولا في سنة رسوله، فلا بأس باجتهاد الرأي من الحاكم الذي يعلم بحكمالله سبحانه، وبما هو أقرب إلى الحق عند عدم وجود النص، وأما الحاكم الذيلا يدري بحكم الله ورسوله ولا بما هو أقرب إليهما فهو لا يدري ما هو العدل، لأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فضلا عن أن يحكم بها بين عباد الله).[4]

دور العدل في منع الاستبداد: (كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد، فإن مدينتناقد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالا يرمُّها به فعل، فكتبإليه عمر أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتك قد خربت، فإذا قرأتكتابي هذا فحصنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم، فإنه مُرَمّتهاوالسلام).[5]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدلكريمة، ويروى: إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصرالدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة).[6]

(أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في بعض أنواعالإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل :إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانتمسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلموالإسلام).[7] الظلموالإسلام).[7]

وَلِأَنَّ الْعَدْلَ مَأْمُورٌ بِهِ لِقَوْلِهِ (ﷻ) (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ) [8] عَلَى الْعُمُومِ وَالْإِطْلَاقِ إلَّا مَا خُصَّ أَوْ قُيِّدَ بِدَلِيلٍ [9] فَإِنَّ الْعَدْلَ مَأْمُورٌ بِهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ [10].

العدل مأمور به ومطلوب هذا أمر معلوم وهو أصل من أصول الدين وليس قاعدة فحسب؛ بأصل من أصول الدين، والعدل مطلوب في لفظك وفي قولك وفي أقوالك لأن السماوات والأرضين ما قامت إلاّ بالعدل والله جلّ وعلا حكم عدل لا يرضى بالظلم وحرم الظلم عن نفسه وجعله بين العباد محرمًا، يظلم المرء غيره ويتخذ غير سبيل العدل في قوله في عرضه في رأيه له إلى آخر وذلك.

العدل مأمورٌ به في كلّ الأحوال، والظلم عاقِبَته وخيمةٌ في الدنيا والآخرة، ومَن ظلم قيدَ شبر طُوِّقهُ يومَ القيامة من سبعِ أرَضين، ومن ظلم غيرَه فإنّ القصاص منه مُؤلم، والله تعالى يملِي للظالم حتى إذا أخَ ذَه لم يُفلِته، ولَن تضيعَ المظالم حتى بين البهائِمِ، وفي صحيح مسلم أنّ النبيَّ قال : ((لتؤدُّنّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة حتى يُقادَ للشاة الجلحاءِ من الشاة القَرناء))[11]، وقال النبي

---

1) المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفي وآخرون - 588/2.
2) لسان العرب - ابن منظور - مادة (عدل) - 430/11
3) التعريفات - الجرجاني - ص191.
4) فتح القدير - الشوكاني - 565/1.
5) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء - ابن الجوزي - ص46.
6) مجموع الفتاوي - 63/27.
7) الاستقامة - 264/2.
8) النحل: الآية90.
9) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - أبو بكربن مسعود الكاساني (المتوفى: 587هـ) - 332/2
10) مجموع الفتاوي -404
11) اخرجه مسلم – كتاب البر والصلة – باب تحريم الظلم – رقم (60) – 1997/4.

(ﷺ): ((مَن كانت عنده مَظلمةٌ لأخيه مِن عِرضهِ أو شيءٍ منه فليتحلّله م نه اليومَ من قبل أن لا يكونَ دينار ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالح أخِذَ منه بقدرِ مظلمته، وإن لم يكن له حَسنات أخِذَ من سيّئات صاحبه فحمِلَ عليه)).[1]

ومهما يكنِ المظلوم ضعيفًا فإنَّ الله ناصره، وفي الحديثِ أنّ النبيَّ قال : ((ودعوةُ المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتَح لها أبوابَ السماء، ويقول الربُّ: وعِزّتي وجلالي لأنصرَنَّك ولو بعد حين))، (وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ)[2]، وفي سورة هود: وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيم شَدِيدٌ)[3]

وأشار إلي هذه القاعدة ابن تيمية رحمه الله قال: (العدل واجب لكل احد علي كل احد في جميع الاحوال، والظلم لا يباح شئ منه بحال).[4]

وأشار أيضا إليها الشيخ السعدي رحمه الله فقال: (العدل واجب في كل شئ والفضل مسنون).[5]

أهمية القاعدة في الحد من سلطة الحاكم: للقاعدة أهمية كبيرة في الحد من استبداد الحكام، لانها تأمر بالعدل في جميع الإحوال والامور، فأمر المولي ﷻ بالعدل فقال(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ)[6] (وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)[7] (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرا)[8].

(العدل نظام كل شئ فاذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، و إن لم يكن لصاحبها في الاخرة من خلاق، ومتي لم يقم بعدل لم تقم، وإن كان صاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآ خرة).[9] اذا طبق الحكام هذه القاعدة وقى الحكام أنفسهم من الاستبداد ومن دخولهم في دائرة الجور والظلم.

(فمن حق الرعية علي السلطان العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه، وفي كلام الحكمة: عدل الملك حياة الرعية وروح المملكة فما بقاء جسد بلا روح فيه، فيجب علي من حكمه الله في عباده، وملكه شيئا من بلاده ان يجعل العدل اصل اعتماده، وقاعدة استناده لما فيه م صالح العباد، وعمارة البلاد).[10]

(اول شئ علي ولي الامر العمل به نشر العدل الذي هو صلاح العالم اذ هو الاساس الذي ينبني عليه نظام العالم، لانه اساس الدين وهو ميزان الله في العالم، به ينتصف المظلوم ممن ظلمه، وبه يؤخذ للضعيف من القوي، وبه يتميز الحق عن الباط ل، وهو من صفات الذات من تعلق به نجا ادخله الجنة، وكل الاعمال توزن بميزان العدل، ولم يخلق الله تعالي في الارض افضل من العدل).[11] فالعدل به قوام العالم، وعمارة الدنيا(العالم بستان سياجه الملة، والملة شريعة يقوم بها

---

1) اخرجه البخارى في صحيحة – كتاب المظالم والغضب – باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يدين مظلمته – رقم (2449) 129/3.
2) إبراهيم: 42
3) هود: 102.
4) مجموع الفتاوي - ابن تيمية - 339/30
5) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي - 50/1
6) المائدة: 8.
7) الأنعام: 152.
8) النساء: 58.
9) مجموع الفتاوي - 146/28
10) تحرير الاحكام في تدبير اهل الإسلام - بدر الدين بن جماعة - ص23
11) التحفة الملوكية - الماوردي - ص103.

الملك، والملك راع يعضده الجيش، والجيش اعوان يكلفهم المال، والمال رزق تجمعه الرعية، والرعية عبيد يسترقهم العدل، والعدل مألوف به قوام العالم[1]).

(اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية، واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع، وفي سير المتقدمين قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما اودعوها من شئ فليعلموا انه فيها، واعلم ان الرعية اذا قدرت علي ان تقول قدرت علي ان تفعل، فاجتهد ان لا تقول تسلم من ان تفعل).[2]

(ان الاماكن والبلاد تخرب اذا استولي عليها الظالمون، وتتفرق اهل الولايات، ويهربون الي ولايات اخري، ويقع النقص في الملك، ويقل في الارض الدخل، وتخلو الخزائن من الاموال، ويتكدر عيش الرعايا لانهم لا يحبون جائرا).[3]

---

1) أساس السياسة ـ القفطي ـ ص109.
2) سراج الملوك ـ الطرطوشي ـ ص477.
3) التبر المسبوك في سياسة الملوك ـ الغزالي ـ ص186.

المصادروالمراجع

1) الأحكام السلطانية - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) - الناشر: دار الحديث – القاهرة
2) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - الذهبي
3) تاج العروس من جواهر القاموس - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى:1205هـ) - المحقق: مجموعة من المحققين - الناشر: دار الهداية
4) التاج في اخلاق الملوك - الجاحظ -
5) تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) - المحقق: محمد عوض مرعب - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الأولى، 2001م
6) الخراج – لأبى يوسف
7) السلطان (عيون الاخبار) - ابن قتيبة -
8) الفقه السياسي عند المسلمين – لمحمود فياض.
9) فكر سياسي من ويكيبديا الموسوعة الحرة
10) فهرست دار الكتب المصرية مخطط مصور بمعهد المخطوطات
11) لسان العرب - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) - الناشر: دار صادر – بيروت - الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
12) المحيط في اللغة : للصاحب بن عباد
13) مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - العدد 4 -
14) مجلة المنار - محمد رشيد رضا -
15) المسلمون وكتابة التاريخ، د/عبد العليم عبد لرحمن خضر، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمى للفكر الاسلامى، ط1(1995م).
16) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) - الناشر: المكتبة العلمية – بيروت
17) المعارضة السياسية فى الاسلام، د/ محسن عبد الحميد
18) المعجم الوسيط - المؤلف / إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار - دار النشر : دار الدعوة - تحقيق / مجمع اللغة العربية.
19) معيد النعم ومبيد النقم - تاج الدين عبد الوهاب السبكي - دار الحداثة للطباعة والنشر - الطبعة الثانية - 1985.
20) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري
21) المقدمة، لابن خلدون، مؤسسة الأعلمى، بيروت.
22) منهاج السنة النبوية - شيخ الإسلام بن تيمية - المحقق : د. محمد رشاد سالم - الناشر : مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى.
23) المنهج المسلوك في سياسة الملوك - عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو 590هـ) - المحقق: علي عبد الله الموسى - الناشر: مكتبة المنار - الزرقاء
24) الموافقات - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) - المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - الناشر: دار ابن عفان - الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/1997م
25) موسوعة البحوث والمقالات العلمية - علي بن نايف الشحود -
26) موسوعة التاريخ الإسلامي ، د. أحمد شلبي
27) موسوعة السياسة - عبد الوهاب الكيالي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
28) نصيحة الملوك للماوردي - فؤاد عبد المنعم احمد - الناشر مؤسسة شباب الجامعة - الطبعة الأولي - 1988م.
29) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان - ابن خلكان
30) طبقات الشافعيين - ابن كثير -
31) التبر المسبوك في نصيحة الملوك - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) - ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م
32) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان -

33) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ جلال الدين السيوطي ـ
34) الوافي بالوفيات ـ الصفدي ـ 115/5
35) تهذيب السياسة وترتيب السياسة ـ القلعي ـ المقدمة .
36) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ـ ابن الحداد ـ المقدمة.
37) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) ـ الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الأولى، 1418هـ
38) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ـ ابن جماعة ـ
39) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ـ ابن القيم الجوزية ـ
40) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك ـ محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي ـ تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ـ الناشر دار الوطن ـ سنة النشر 1416ه ـ بالرياض
41) النظريات السياسية الإسلامية دكتور محمد ضياء الدين الريس مقدمة الكتاب
42) السياسة الشرعية لصلاح أنور عبد فرحان
43) النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمدضياء الدين الريس
44) الحكم والدولة للأستاذ محمد المبارك
45) النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس
46) السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد
47) في النظام السياسي للعوا.
48) النظام السياسي في الإسلام ـ د/محمد عبد القادر أبوفارس ـ طبعة1980م.
49) فقه السيرة النبوية، منير غضبان.
50) النهاية لابن الأثي.
51) فتح الباري.
52) فقه السيرة النبوية، منير غضبان.
53) السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ـ المحقق: محمد عبد القادر عطا ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ـ الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
54) زاد المعاد في هدي خير العباد ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ) ـ الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ـ الطبعة : السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م
55) النظريات السياسية الإسلامية ، الدكتور الريس
56) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني
57) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، أحمد بن الحسين البيهقي
58) لمعة الاعتقاد ، لابن قدامة
59) عمر الفاروق القائد ، محمود شيت خطاب.
60) طبقات ابن سعد
61) العواصم من القواصم ، القاضي أبوبكر بن العربي
62) أوليات الفاروق السياسية غالب عبد الكافي القرشي
63) بين يدي عمر ـ خالد محمد خالد ـ دار المقطم للنشر والتوزيع ـ ط4 -2005م
64) عمر الفاروق القائد، محمود شيت خطاب
65) أوليات الفاروق السياسية ، غالب عبد الكافي
66) حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي
67) خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد فقيهي
68) كتاب السنة لأبي بكر الخلال
69) تاريخ الطبري
70) الكامل لابن الأثير
71) نهج البلاغة ، لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، جمع وترتيب : العلامة الشريف الرضي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، 1990م
72) أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب ، د. علي محمد الصلابي
73) غرر الحكم ودرر الكلم ، للآمدي

74) النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي المكي
75) الدولة والمجتمع في العصر الأموي ، دراسة الشبهات ورد المفتريات، حمدي شاهين
76) رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي ، د. محمد رأفت عثمان
77) العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبدالشافي محمد عبداللطيف
78) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، د. علي الصلابي ،
79) تاريخ عصر الخلافة العباسية ، يوسف العش.
80) البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) - المحقق: علي شيري - الناشر: دار إحياء التراث العربي - الطبعة: الأولى1408، هـ - 1988 م
81) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) - الناشر: دار التراث – بيروت - الطبعة: الثانية -1387 هـ
82) الإسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
83) تاريخ الخلفاء ، لابن قتيبة
84) الفقه السياسي الإسلامى، د/ خالد العهداوى، دار الاوائل، دمشق، ط1(2003م)
85) احسان (1993م)
86) المناقب لابن البزاز
87) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد ابى زهرة
88) تاريخ التشريع الاسلامى، الخضري، مطبعة الاستقامة، ط5(1939م).
89) كتاب الاعتصام، للشاطبى، دار المعرفة، بيروت (1408هـ)
90) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، د/الريسونى.
91) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) - الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، 1418هـ
92) الأحكام السلطانية - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) - الناشر: دار الحديث – القاهرة
93) طبقات الشافعية ، السبكى، مطبعة مصطفى الحلبى، مصر.
94) سير أعلام النبلاء، للذهبى، دار الحديث ، القاهرة.
95) الاعلام باعلام الاسلام، محمد ابو زهرة، مجوعة مقلات منشورة ضمن كتاب العربي، عدد99(يناير2015م)، اصدار وزارة الاعلام الكويتية.
96) قواعد الفقه السياسي، د/خالد الفهداوى.
97) الفكر السياسي عند الماوردى، د/صلاح الدين بسيونى، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة(1985م).
98) أدب الدنيا والدين - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) - الناشر: دار مكتبة الحياة.
99) البرهان فى اصول الفقه، للجوينى.
100) البرهان فى اصول الفقه، للجوينى.
101) نهاية السول في شرح منهاج الوصول - الاسنوي
102) شرح التلويح علي التوضيح لمتن التنقيح - التفتازاني
103) شرح القواعد الفقهية - الشيخ احمد الزرقا
104) درر الحكام شرح غرر الأحكام - محمد بن فرامرز بن علي (المتوفى: 885هـ)
105) الأشباه والنظائر - للإمام تاج الدين السبكى
106) قاعدة التصرف علي الرعية منوط بالمصلحة - دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية - د/ناصر بن محمد بن مشري الغامدي -
107) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام - بدر بن جماعة -
108) النكت الدالة علي البيان في انواع العلوم والاحكام - احمد الكرجي القصاب (ت360ه-) -
109) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين - احمد بن إبراهيم النحاس
110) التيسير في أحاديث التفسير - محمد المكي الناصري (ت1414هـ)
111) الكتاب: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى:1414هـ).
112) عثمان بن عفان شخصيته وعصره، على محمد محمد الصلابي
113) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود

114) التعريفات ـ علي بن محمد بن علي الجرجاني ـ الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ـ الطبعة الأولى ، 1405 ـ تحقيق : إبراهيم الأبياري
115) فتح القدير ـ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:1250هـ) ـ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت ـ الطبعة: الأولى - 1414هـ.
116) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ـ ابن الجوزي
117) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي ـ
118) تحرير الاحكام في تدبير اهل الإسلام ـ بدر الدين بن جماعة.
119) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ـ ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى، 1409 هـ -1988م.